ISSN: 1994-4217 (Print) 2518-5586(online)

Journal of College of Education

Available online at: https://eduj.uowasit.edu.iq

Lecturer Dr
Saleem Qasem Z'ayich

Ministry of Education / Baghdad Education Directorate / Rusafa 3

Email:
saleemqassim22@gmail.com

Keywords:
psychological method, Al-Aqqad, poet, self, ego, personality. Narcissism.

A r t i c l e i n f o

Article history:
Received 12.Nov.2021
Accepted 9.Jan.2022
Published 28.Feb.2022

The Psychological Method for Al -Aqqad

A B S T R A C T

Our study was briefed in clarifying the concept of (criticizing the criticism) and highlighting in general the psychological method which is considered as one of the literary methods and which has strong bases in showing the creativity points of human self.
This method also studies the behaviors, disorders and tempers of some poets such as Abi Nu'as, Ibn Al-Roumi, and Jameel Buthaina in how to solve the mystery of the key of each personality and its emotions, as the study has two orientations, the first one is psychological and the second is literary.

© 2022 EDUJ, College of Education for Human Science, Wasit University

DOI: https://doi.org/10.31185/eduj.Vol3.Iss46.2926

المنهج النفسي عند العقاد

م.د. سليم قاسم زعيج الحريشاوي
وزارة التربية / مديرية تربية بغداد / الرصافة ٣

المستخلص:

يلخص مفهوم دراستنا في إيضاح مصطلح (نقد النقد)، وتسليط الضوء بشكل عام على المنهج النفسي، الذي يعد أحد المناهج الأدبية والذي له أساسيات متينة في إظهار مواطن الإبداع للنفس البشرية . كما يدر هذا المنهج سلوكيات واضطرابات وأمزجة بعضاً من الشعراء أمثال أبي نؤاس ، ابن الرومي ، جميل بثينة . وفي كيفية فك لغز مفتاح شخصية كلاً منهم وانفعالاته . فالدراسة كانت لها وجهتان الأولى نفسانية والثانية أدبية .

الكلمات المفتاحية : المنهج النفسي ، العقاد ، شاعر ، الذات ، الأنا ، الشخصية النرجسية

المقدمة

أمّا بعد : فقد كان عنوان بحثي الموسوم بـ (المنهج النفسي عند العقاد) وقد قسمته إلى تمهيد وثلاثة مباحث.

ففي التمهيد تحدثنا عن لمحات النهوض وولادة الكاتب (العقاد) وكيف كشف لنا القدر عن ذاكرة قوية اختاره من مدينة أسوان ، وتحدثنا عن نزر يسير من حياته البسيطة ، وعن أصل أمه وأبيه.

وما كان للعقاد من شخصية مميزة بيدَ أنّه وصفوه بالعملاق وما يعتري هذه القامة الباسقة من عواطف وأحاسيس ، كذلك ذكرت ما ورد على لسان صديقه المرحوم المازني وإطرائه على العقاد.

وتناولت سطور عن هذه الموهبة التي يمتلكها العقاد رغم انه يمتلك الشهادة الابتدائية فقط كيف انه بدأ النقد وكان طبعا من العشرينيات والمجال الذي برع فيه ألا وهو النقد والأدب. ومن أهم المدارس التي عني بها المدارس النقدية واهمها النفسية.

أمّا المبحث الأول : فبدأنا بالتحدث عن أساسيات المنهج النفسي والتعريف له لغة واصطلاحا. كذلك كان من مطالب هذا البحث موضوعة بناء الشخصية طبقا لنظرية المحللين النفسانيين التي تنقسم إلى ثلاثة أقسام: (الهو، الأنا، الأنا الأعلى). ومن ثم مراحل النمو النفسي الجنسي: والتي أثارت الكثير من النقد اللاذع مفادها ان الجنس لا يبدأ عند المراهقة بل منذ الولادة. أمام أساس المنهج النفسي فكان هو تحليل الشخصية والذي يستمد آلياته من علم النفس بصورة عامة ، وكذلك تطرقت لموضوعة المنهج النفسي وجذوره ومن ناحية الطب النفسي نظرا للعلاقة العتيدة بين المصطلحين من حيث ارتباطه بالعقد النفسية وتقسيماتها؛ وعقدة أوديب وعقدة الإخصاء ، والذي ينتهي بالأمر إلى إيجاد مصطلح آخر وهو النرجسية.

وكان عنوان المبحث الثاني هو ملامح المنهج النفسي في ذهنية العقاد . وكان للعقاد باع طويل مع أبي نؤاس في التحليل للشخصية النواسية ومفتاحها من حيث إباحيته المتهتكة.

ومن ثم آفات أبي نؤاس وبصماته النرجسية ومنها لازمة العرض والارتداد والتلبس والشخصية والنفسية الجنسية لأبي نؤاس والجهر بالمحرمات ومنها الخمر.

أما المبحث الثالث فقد تناولت أيضاً نقد العقاد النفسي لابن الرومي وكان العنوان اختلال الأعصاب لهذا الشاعر ومزاجه المختل واضطراب خواطره.

ومن بين الموضوعات التي كان ابن الرومي حاذقا بها ملكة السخرية فقد كان ابن الرومي ساخرا وهي تُعدّ من النقائض والمفارقات التي لازمته طوال حياته.

تحدثنا عن لغز الجنس عند ابن الرومي وارتباط هذه الحالة بالمرأة كونها مصدر لانبعاث الغرائز والشهوات والحب بالنسبة للرجل. وقد قال عنها: ابن الرومي بانها (معبد الحياة).

وكان أيضاً من موضوعات البحث هي مزاج الفحولة لجميل بثينة الذي كان شأنه شأن الشعراء العذريين الذين لا يميلون إلى الملامسة والجسد. وكذلك ما كان يعتري هذا الحب بينه وبين بثينة والغريزة الغرامية التي استحوذت عليه حتى مماته.

ونهاية البحث كانت المآخذ الذي أخذت على هذا المنهج ومنها دفاع (طه حسين) عن أبي نؤاس وبعض المآخذ لبعض النقاد ومن ثم الخاتمة.

التمهيد

(لمحات من سيرة العقاد) (الذاتية والنقدية)

بينما تحاول مصر النهوض على قدميها أثر ما أصابها من كارثة الاحتلال الإنجليزي، إذ القدر يختار لها طفلا من اقصى الصعيد مع من اختارهم لها من قبله ومن بعده ليتمثلوا روحها، وليكتبوا لها مجدها الأدبي الحديث. وقد مضى القدر يعينه بكل الأسباب والخصائص التي تذكي قريحته وتريش أجنحته. وكان أول ما أعانه به مسقط رأسه (أسوان) بلدة الشلال الذي يزأر زئير الأسود ويهدر هدير الرعود(ضيف ، د. ت : ٩).

وقد ولد العقاد ظهر يوم الجمعة الموافق ٢٨ يونية سنة ١٨٨٩م من الميلاد لاب كان يقوم على أمانة المحفوظات (الدفتر خانة) بمديرية أسوان، وقد تزوج أبوه ثلاث مرات وكانت أم العقاد المرأة الثالثة وهي كردية من الأناضول أنجب منها خمسة أبناء وبنتا وهم : (عباس، مصطفى، الظاهر ويس، واحمد وفاطمة) (ذياب، ١٩٦٥ : ٧٣) .

وقد اقترن اسم العقاد في أذهان قرّاء العربية بصورة الفارس الذي لا يفرغ من معركة حتى يبدأ بالأخرى. بل كانت صورته لدى أحد نقادنا ونعني به الدكتور (لويس عوض) لا تختلف عن صورة هرقل الجبار الذي يسحق بهراوته الشهير الأفاعي والتنانين والمردة وكل عناصر الشر في الحياة، بل ورآه البعض منا مدرسة وتعلموا فيها إنّ الجهاد ضد الطغيان كفيل بأن

نبشر أعلام الحرية... والذي لاشك أنّ العقاد كان أحد الأعلام الفكرية الخفاقة في تاريخ مصر الوطني منذ أن أمسك بالقلم شابًا يافعًا حتى ودّعه وهو شيخ قارب على الخمسة والسبعين(العقاد ، د. ت : ٦).

ومما ورد على لسان العقاد قال : هل يعرف أحد من أين لي باسم العقاد؟ لا أحد طبعا... وهناك غير هذا أشياء كثيرة لا يعرفها الناس عني، أشياء قد تبدو غريبة، لكني أقولها في هذا المقام ، أما اسم (العقاد) فأذكر أنّ جدّ جدّي لأبي كان من أبناء دمياط، وكان يشتغل بصناعة الحرير، ثم اقتضت مطالب العمل أن ينتقل إلى المحلة الكبرى، حتى يتخذها مركزا لنشاطه، ومن هنا أطلق عليه اسم (العقاد) أي الذي "يعقد" الحرير... والتصقت بنا وأصبحت علما علينا(الطناجي ، د.ت : ٣١).

ويتابع العقاد حديثه عن نفسه فيقول : إنّه نشأ بين أبوين شديدين في الدِين، لا يتركان فريضة من الفرائض اليومية، وفتحت عيني على الدنيا وأنا أرى أبي يستيقظ قبيل الفجر ليؤدي الصلاة، ويبتهل إلى الله بالدعاء ولا يزال على مصلاه إلى ما بعد طلوع الشمس، فلا يتناول طعام الإفطار حتى يفرغ من نداء الفرض والنافلة وتلاوة الأوراد، ورأيت والدتي في عنفوان شبابها تؤدي الصلوات الخمس وتصوم وتطعم المساكين، وقلما ترى نساء مصليات أو صائمات قبل الأربعين(ذياب ،١٩٦٥: ٧٤).

معالم شخصية الأديب العقاد :

له قامة باسقة مديدة كالعملاق، ووجه أبيض وضيء مليح القسمات، معبر عن كل ما يجيش به وجدانه من انفعالات ... وتتوج وجهه المستطيل هامة سامقة يزيد قطر جمجمتها طولا على قطرها عرضا بنسبة ظاهرة، وعيناه شديدتا السواد مع سعة في المقلة، ثاقبتان ، فيهما سعة(ذياب ، ١٩٦٥ : ١٩٣).

ومما ورد على لسان المرحوم الأستاذ عبد القادر المازني في تعريفه لشخصية العقاد ، وخصائصها حيث قال: عرفت صديقي الأستاذ العقاد اكثر من ربع قرن، فما أسرع ما تمضي الأيام علينا، وليتها تبطئ وتتلكأ حيث تهتم بأن تمضي بنا، فما يحس الإنسان أنّه قضى وطره من الحياة أو بلغ غايته وأدى رسالته فيما يقسم له من قسمة الأجل، وأشهد أن العقاد اليوم هو الذي عرفته أول يوم، وإني ليخيل إليَّ أحيانًا حين أتدبر أمره كأنّه الجبل الشامخ الذي لا يتغير، ولا يختلف حاله في عصر عن عصر ولا تتبدل وجوهه إلاّ بزلزال يدك الأرض ، ويجعل عاليها سافلها، ولم يزوده بالاطلاع الشامل رحابه أفق وسعة عقل وعمق نظر ودقة في الإحساس. فقد كانت تلك خصائصه البارزة التي لا يسع من يلقاه إلاّ أن يفطن إليها ويكبرها من أول ساعة، ولم تستطع الدنيا بما يكون فيها عادة في الصروف والغير وانتقال الأحوال أن تلين منه صلبًا، أو تثني له عودًا أو أن تخشن جوانبه الرقيقة الملساء، أو تغلظ له كبدا، أو أن تفسد من سجاحة خلقه، واستقامة طباعه ومروءة نفسه وشهامة قلبه(مجموعة من التلاميذ ، د. ت : ١٥٦).

موهبة العقاد في النقد

بدأ حياته بالنقد وعرف بالعشرينات ناقدا لبعض كبار الشعراء والكتاب من أمثال : شوقي وحافظ إبراهيم والمنفلوطي. أخرج الديوان بالمشاركة مع صاحبه المازني فأحدث ضجة ومعارك قلمية، هاجمه خصومه وناصروه أولياء لم يقتصر في نقده للقصيدة أو المقالة على اللغة وحدها أو على القافية وإنما نظر إلى القصيدة من حيث موضوعاتها وتسلسل أجزائها وتماسك هذه الأجزاء.

ونظر إلى عمق أفكارها وثم وسع آفاق نقده إلى موضوعات القصيدة وتجديد تلك الموضوعات بحيث تشمل آفاقا أوسع مما كانت تدور عليه في محوره من الموضوعات المتداولة عند القدماء وإنما يتعرض الشاعر في شعره لكل ما يمر به في الحياة وأكد على ضرورة تغليب الفكر على القصيدة وقرن نقده النظري عمليا في معالجته للشعر ليطابق بين نقده وشعره فجاء شعره وعليه طابعه في النقد وغلب الفكر والتجديد في اغلب ما نظر ودواوينه التي بين أيدينا تؤكد مذهبه الوحدة بين الشعر والحياة – ولذلك جاء شعره في دواوينه العديدة وعليه طابع المذهب الذي اختطه (تغليب الفكر ووحدة الأجزاء في القصيدة) وبهذا انفرد بأسلوب خاص به(الآلوسي ، د.ت : ٥٧).

وما من شكٍ أن مطلع الستينات من القرن العشرين قد شكل أولى تطلعات المشهد النقدي العربي والذي ما انفك يجرب الكثير من المناهج النقدية الوافرة، على الإنتاج الإبداعي العربي بمختلف مشاربه واتجاهاته.

وبالرغم من السيطرة الواضحة لمنهج الواقعية الاشتراكية على اغلب البحوث والدراسات آنذاك إلاّ أن ثمة مناهج نقدية أخرى تمكنت من تشكيل بنى وتصورات لها رؤيتها الخاصة وفق مفهومات نقدية بعيدة كل البعد عن الاعتقاد العقائدي والإيدلوجي والقومي. ناظرة إلى مناهج مختلفة تذهب إلى تأكيد إنسانية الفن والأدب قبل أي شيء آخر.

ومن أهم تلك المدارس والمناهج التي عنيت بتأكيد ذلك الحضور في المشهد النقدي كان منهج التحليل النفسي (analysis – psycho) للأدب والفن.

وموضوعة (التحليل النفسي) قد أفرزت أسماء مهمة لها مكانتها الأدبية والريادية ومن أهمها : (عباس محمود العقاد، ويوسف مراد، ثم عز الدين إسماعيل، ومصطفى سويف، وجورج طرابيشي، ...).

أما المسألة الأهم في تثبيت تلك الأسماء فقد كان (العقاد) الذي لم يتوانَ عن التصريح برأيه قائلا : (إنّ مدرسة التحليل النفسي هي اقرب المدارس إلى الرأي الذي ندين به في نقد الأدب ونقد التراجم).

وبالرغم من السبق الذي حققه العقاد في تأكيد الاشتغال على منهج التحليل النفسي إلاّ أنّه ظل أميناً على رابطة العلاقة الميكانيكية بين المبدع وإنتاجه، ناظرًا إليه من زاوية الانعكاس الذاتي أو ما يدعى (باللاشعور الشخصي) وكان المبدع منتج لسياق سيرته الذاتية وفق سنن وضعها العقاد معتمدا على ثنائية (الوعي واللاوعي) (فخري ، د. ت : ١٩).

وعلامة النقد الأدبي وعلم النفس تبين لنا حين يفسر الناقد طبيعة الأثر الأدبي ينقاد في الغالب إلى نطاق علم النفس أي إلى الحديث عن الحالة الذهنية التي تمت فيها عملية الإبداع الأدبي. أما كيف يدخل علم النفس في نطاق الأدب يتم ذلك بطريقتين :

أولاً : في البحث عن عملية الخلق والإبداع.

وثانياً: في الدراسة النفسية لأدباء بأعيانهم لبيان العلاقة بين مواقفهم وأحوالهم الذهنية وبين خصائص نتاجهم الأدبي.

أما الطريقة الأولى فهي أعم الطريقتين وأقدمها وأشيعها وقلما ذهب نقاد يبحثون الأدب من حيث هو فعالية دون أن يعالجوا العوامل النفسية.

أما الناقد الذي يرى في الأدب سلسلة من الآثار والأعمال ينتجها الأدباء ولا يرى فيه فعالية لهم، فإنّه لن يدخل نطاق علم النفس بسهولة فمثلا كان (أرسطو طاليس) مهتما بماهية المسرحيات التراجيدية أكثر من اهتمامه بكيفية إنتاج الكتّاب المسرحيين للمآسي. ولا يستطيع أيّ قدر من الاستقصاء النفسي سواء تناول عملية الخلق بعامة أو مشكلات أدباء بأعيانهم خاصة أن يخبرنا إنْ كان الأثر أدبيًا جيدًا أو رديئًا (ديتش ، ١٩٧٦ : ٥٢٣-٥٢٤). والعنصر النفسي أصيل بارز في العمل الأدبي والتعريف للعمل الأدبي: هو التعبير عن تجربة شعورية في صورة موحية، وجدنا أن العنصر النفسي بارزًا في كل خطوة من خطواته (سيد قطب ، د. ت : ١٩٩).

(فالتجربة الشعورية) ناطقة بألفاظها عن أصالة العنصر النفسي في مرحلة التأثر الداعية إلى التعبير و(الصورة الموحية) ناطقة بألفاظها كذلك عن أصالة هذا العنصر في مرحلة التأثير الذي يوحي به التعبير.

فالعمل الأدبي: هو استجابة معينة لمؤثرات خاصة وهو بهذا الوصف عمل صادر ، عن مجموعة القوى النفسية ونشاط ممثل للحياة النفسية هذا من حيث المصدر أما من حيث الوظيفة فهو مؤثر يستدعي استجابة معينة في نفوس الآخرين هذه الاستجابة التي هي مزيج من إيحاء العمل الفني وطبيعة المستجيب له من الناحية الأخرى (سيد قطب ، د. ت : ١٩٩).

وعنوان البحث هذا يتطرق إلى واحد من المناهج النقدية التي طبقت آنذاك في الأدب العربي.. وخاصة من قبل الكاتب (العقاد) الذي طبق منهج الدرس النفسي في شخصية أبي نؤاس وهو المنهج الذي يقوم على الغوص في نفسية الأديب

ومحاولة تبيين أسرارها ما دامت تشكل جزءًا من النفس الإنسانية التي اهتم بتحليلها علم النفس. فالأستاذ الكبير عباس محمود العقاد لم يكن أديبًا وكاتبًا فحسب بل كان أيضاً عالمًا ومؤرخًا ومحققًا ومحلّلًا نفسياً والسبب يعود إلى أنّه عاش ورحل حيث الكتاب لا يفارقه فكان أستاذ نفسه وكان يردد : (لا أعرف إني جاهل). وقد استخدم العقاد أدوات الباحث النزيه الموضوعي ويعتلي المنهج النفسي التحليلي والنقد التاريخي في تصديه لهذه الدراسة النفسية(دقاق ، ٢٠٠٩ : ٥). وكان من ضمن موضوعات التحليل النفسي في النقد الأدبي: هو شخصية الشاعر ابن الرومي ، والشاعر جميل بثينة.

المبحث الأول

أساسيات المنهج النفسي

التعريف بالمنهج :

المنهج من نهج الأمر – نهجًا، الأمر: أبانه، وأوضحه، والطريق سلكه، ونهجا ونهوجا الطريق أو الأمر.

أنهج : الطريق أو الأمر بمعنى وضح استبان

وانتهج الرجل : سلك، وقيل طلب النهج أي الطريق الواضح والطريق استبانة.

المنهج (مصدر) الطريق الواضح يقال (طريق نهج) وطريق نهجة ونهجات ونهج ونهوج.

المنهج والمنهاج جمع مناهج الطريق الواضح ومنه منهج ومنهاج التعليم أو الدروس(معلوف ، د. ت : ٨٤١).

(النفس) مصدر جمع أنفس ونفوس : الروح، العين

يقال: أصابته نفس : أي عين

يقال : هو عظيم النفس أي الجسد (شخص الإنسان)

العظمة والهمة والأنفة والإرادة

ونفس الأمر (حقيقته) ، نفس الشيء عينه،

ونفس جمع أنفاس: (نسيم الهواء) ريحُ يدخل ويخرج من الحيّ ذي الرِّئة وأنفه حالَ التَّنَفُّس

(السعة والمهلة والفسحة) يقال : اعملوا الخير وأنتم في نفس البقاء. وسعته الطويل في الكلام.

يقال : شراب ذو نفس أي عذب فيه سعة وريٌّ(معلوف ، د.ت : ٨٢٦).

بناء الشخصية :

تنقسم الشخصية طبقا لوجهة النظر البنيوية إلى ثلاث مركبات هي :

الهو (id) والأنا (ego) والأنا الأعلى (superego) ويرجع هذا التصور إلى عام ١٩٢٣ .

أ– الهو (id) :

هي مصدر كل البواعث ومستودع الغرائز.. والهو يوجد مع الإنسان منذ لحظة ولادته، ويظل معه طوال حياته ويحتوي على كل العمليات العقلية المكبوتة التي فصلتها المقاومة من الحياة النفسية الشعورية (والهو) يخضع لمبدأ اللذة يعني الإشباع الفوري للغرائز بصرف النظر عن القيم الأخلاقية والتقاليد الموجودة في المجتمع فيبدو (الهو) سلوك الأطفال الصغار.

ب–الأنا (ego) :

الأنا : هو ذلك الجانب من النفس الذي يقسم بالاتصال بالعالم الخارجي والذي يقوم بوظيفة الوقوف على الواقع وبوظيفة قبول بعض الرغبات أو المطالب التي تصدر عن الدوافع الفطرية والأنا هو امتداد (لـ الهو) واذا كان (الهو) الجانب البيولوجي في الشخصية فان (الأنا) هو الجانب النفسي للشخصية.

ت– الأنا الأعلى :

هو المكون الثالث لشخصية الفرد وهي عبارة عن كف دفعات الهو وبخاصة تلك الدفعات ذات الطابع الجنسي أو العدواني وإقناع الأنا بإخلال الأهداف الأخلاقية الواقعية (فايد ، د.ت : ٢٦٧-٢٦٨).

مراحل النمو النفسي الجنسي :

أثارت النظرية الجنسية التي وضعها فرويد كثيرًا من الاستنكار ، والدهشة والهجوم والنقد اللاذع حينما نقضت جميع الآراء الشائعة حول حياة الإنسان الجنسية المثلية والتهيج الجنسي المبكر لدى الأطفال وقد توصل التحليل النفسي إلى اكتشافات عديدة في هذا الشأن أهمها :

أ- الحياة الجنسية لا تبدأ فقط أثناء المراهقة بل تبدأ عند الولادة مباشرة في شكل واضح.

ب- يجب التمييز بدقة بين معنى (جنسي) ومعنى (تناسلي) والمعنى الأول هو الأعم وهو يتضمن أعمالًا كثيرة ليست لها أية صلة بالأعضاء التناسلية((فايد ، د.ت : ٢٧٠).

ج- ويميل علم النفس إلى (اطلاق السلوك الجنسي) على المعيار الطبيعي لتطابقه واتفاقه مع مضمون هذا المعيار، ومن خلال هذا المعيار يعتبر الشخص سويا لقيامه بالدور المناسب لجنسه (فايد، د.ت ، ٣٠٠).

أما أساس المنهج النفسي فهو (تحليل الشخصية)

هو المنهج الذي يستمد آلياته النقدية من نظرية التحليل النفسي التي أسسها الطبيب النمساوي (سيغموند فرويد) فسّر على ضوئها السلوك البشري برده إلى منطقة اللاوعي (اللاشعور).

إنّ منطقة اللاشعور هي خزّان لمجموعة من الرغبات المكبوتة التي تشبع بكيفيات فقد نحلم بهذه الرغبات في أحلام يقظة أو نوم وقد نجسدها في مجموعة من الأعمال الإبداعية من (شعر أو رسم أو موسيقى)(مجموعة أدباء ، ٢٠١٢: ٢).

قدّم فرويد نظرية مهمة وذائعة الصيت في تحليل الشخصية فقد كان طبيباً نفسياً يعالج العصابيين فأراد فهم سلوكياتهم، وتوجيهها وجهة صحيحة فجعل " اللاشعور الشخصي " محور السلوك الإنساني وهو "مجموعة العوامل النفسية والفسيولوجية غير المحسوسة التي توثر في السلوك البشري" ، ولا يمكن فهم اللاشعور الشخصي عند فرويد بمعزل عن حديثه عن قوى النفس الثلاث الهو، والأنا ، والأنا الأعلى(قصاب ، د. ت : ٦٢).

وقد بيّن فرويد في بعض دراساته الآليات التي تساهم في عملية الإبداع الفني، وقرر أن الخصائص الرئيسية لهذه الآليات تشترك في كثير مع تلك التي تكمن وراء عمليات ذهنية غير متماثلة في الظاهر، كالأحلام، والنكتة والأعراض العصابية ذلك إن اللاشعور هو الأساس الذي تقوم عليه هذه الظاهرات والإبداع الفني على السواء(قطب ، د. ت : ٢٠١).

ويلجأ فرويد إلى أفكاره الرئيسية التي تقوم عليها آراؤه السيكولوجية كلها وهي: الكبت، والرغبة الجنسية، ومرحلة الطفولة، ومن هنا حاول أن يعلّل عبقرية (ليوناردو دافنشي). ولكن أهذا تعليل حاسم؟ أن كثيرًا مما يحيط بهم مثل هذه الظروف التي أحاطت بليوناردو فلم تخلق منهم فنانين عظامًا ولا باحثين متعمقين. نعم إنه أراد تعليل مسلك هذا الفنان بأنه ينطبق على حالة خاصة من حالات الكبت يتوافر فيها أن يعجز الكبت الجنسي عن توجيه جزء مهم من دافع اللّذة الجنسية إلى اللاشعور فيتجه (اللبيدو) (الشهوة) إلى التسامي منذ البداية (قطب ، د. ت : ٢٠٢).

التسامي (الإعلاء) Sublimation

وهي من العمليات التي قد يأتيها الإنسان شعوريا ولكنها تتم في أغلب الأحيان بصورة لا شعورية حيث تقوم على تغيير الموضوع بالنسبة للغريزة وتحويل الطاقة المتصلة بالرغبات والدوافع الممنوعة كالرغبات العدوانية أو الجنسية المحرمة إلى توجهات اجتماعية وثقافية، وأخلاقية ، وفنية وأدبية سامية ونافعة مثل تحويل الرغبة في المقاتلة والمغالبة إلى تحدٍ للصعوبات والدوافع إلى الإنجازية في ميادين العلم والمعرفة.

ويعد التسامي من العمليات الواقية من المرض النفسي الذي قد يدفع إليه الحرمان، كما إنه من أكبر العمليات الدفاعية نجاحًا نتيجة ممارسة الكبت بطريقة ناجحة.

ويطلق فرويد مصطلح التسامي على قدرة الفرد على تغيير الهدف الجنسي أو العدواني بهدف آخر غير جنسي، أو غير عدواني ولكنه يمت إليه بصلة نفسية (الخالدي ، ٢٠٠٢ : ٢٢١-٢٢٢).

ويوضح فرويد عملية التسامي من خلال تحويل النشاط الغريزي متسامي ثم عن طريق مرحلة متوسطة فيتم سحب (اللبيدو) أو إلى (الأنا) اللبيدو مما يُمكّن من تجريد الموضوع من الشحنة الغريزية ثم يوجه (الأنا) اللبيدو إلى موضوع آخر ليست له طبيعة غريزية.

ويشير فرويد عن اللبيدو (الأنا) باعتباره شحنة قوية متسامية مجردة من الجنسية يمكن أنْ تتحقق منها إقامة العلاقات والصلات واستحداث التوحيد وإنشاء تركيبات جديدة أرقى ومنها الثقافية(الخالدي، ٢٠٠٢: ٢٢٢).

والتسامي هو : عملية عقلية لا شعورية تساعد الفرد على الارتقاء أو الارتفاع بالدافع أو الرغبة المكبوتة إلى مستوى أسمى خُلقيًا واجتماعيًا.

وإنّ نظرية فرويد الخاصة بالإعلاء والتسامي تشير إلى اطلاق سراح الطاقة الحيوية التي وقف نموها عند مرحلة معينة من مراحل النمو والاستفادة من هذه الطاقة في الحياة اليومية.

ويفيد التسامي أو الإعلاء في عمليات العلاج النفسي ويعتبر القوة المحركة للتحليل، يبثها المحلّل في المريض منذ البداية، وعندما يحل محل الأنا الأعلى فيعينه على التغلب على مقاومته، ويكشف عن دوافعه اللاشعورية، ويساعده على تصريفها في نواح إيجابية كما يعينه على تجاوز إحباطاته (الخالدي، ٢٠٠٢: ٢٢٣).

جذور المنهج النفسي في نظرة الطب النفسي :

استخدمت كلمة (عقدة) في علم النفس لمجموعة العوامل الموجودة في التكوين العقلي، بمعنى قريب من (disposition) غير إن الاستعمال الشائع للعقدة يعني أن أفكارًا أو ذكريات أو رغبات ذات صبغة انفعالية قد كبتت في اللاشعور وظلت بمثابة طاقة دينامية (dynamic) موجهة للشخص وسلوكه وجهات معينة شبه العقدة (complex) العاطفة (sentiment) في كون كليهما انتظام مجموعة من العوامل ذات الشحنة الوجدانية. وفي كونهما مكتسبتين (acquired) ونزوعيتين (Conative) ولكن العقدة مرضية morbid أما العاطفة فسوية (الخولي ، ١٩٧٦ : ١٠٠).

عقدة الكترا :

وهي عقدة جنسية عند الطفلة نحو أبيها مع اتجاه عدواني لها، تكبت اللاشعور فتصبح عقدة وليدة عقدة البتر أو الخصاء عند الطفلة (v.supra) واسم العقدة مقتبس من أسطورة إغريقية زعمت ان (الكترا) كانت تحب أباها الملك (اجامنون) (الخولي ، ١٩٧٦ : ١٠٢) وانتقمت له من أمها (كليتمنسرا) التي قتلته لتتزوج من أحد أقاربه.

وكثيرا ما يطلق على عقدة الكترا عقدة (أوديب) عند الإناث وقد يؤدي كبت الميول والعدوانية في اللاشعور إلى تكوين رد فعل، أي نظرة البنت لأبيها نظرة تقديسية خالية من الجنس تماما، وحب البنت لأمها ويسمى ذلك الكترا المعكوسة (inverted electra).

عقدة أوديب (Oedipus complex) :

في الذكر يدخل الولد ابتداء من سن الثانية أو الثالثة ، يصبح الطفل لصيق أمه ويرغب في امتلاكها جسديا بفطرته وبالوسائل التي يتخيلها حسب فهمه للحياة الجنسية، ويحاول إغراءها بأن يريها جسده في هذه السن(الخولي ، ١٩٧٦ : ١٠٢).

لقد كان يحسد أباه على سلطته وقوته الجسمية ولكنه الآن يريد أن يأخذ مكانه، فهو يشارك أمه فراشها ولكنه يبعد عنه إذا حضر الوالد، مما يؤدي إلى تمنيه زوال أبيه وامتلاك أمه والاستئثار بها.

يبدو انه يضطر أن يتخلى عن رغباته أسفًا خوفًا من الخصاء ذلك ان الوالدين أو احدهما يهددانه بقتله أو قطع رقبته وبتر أعضاءه التناسلية. في مرحلة يتركز أغلب اللبيدو (الشهوة) على هذه الأعضاء، عقابًا له على الاسترسال في عبثه بهذه

الأعضاء ولاسيما تخوفه من والده وإحساسه بانه منافس له في امتلاك الأم، ولما كان الطفل في هذه السن يصدق ما يقوله له والده فانه يضطرب ويفزع من هذا التهديد، بل كم من طفل قام من نوعه فزعا وفارقه النوم خوفا مما سيعمله به والده.

ويقول فرويد : إنّ ما يحمل الطفل بنوع خاص على تصديق هذا التهديد هو رؤيته أعضاء الأنثى وظنه أنه كان لها مثل أعضائه فقام الوالد ببترها. كما يضيف فرويد وجود أثر من الذاكرة السلالية –بالفطرة– في الطفل نتيجة قيام الآباء في السلالات البشرية الأولى بخصاء الأبناء اذا نافسوهم في امرأة (كما يعزو عادة الختان كبديل رمزي للخصاء ومظهر لخضوع الابن لإرادة أبيه).

ومهما يكن من أمر فإننا نشاهد آثار تلك الفطرة في كثير من أنواع الحيوان بل بين بعض الشعوب حيث يقوم الذكر القوي بخصاء الضعيف، وكذلك الحال في الحيوانات(الخولي ، ١٩٧٦ : ١٠٣) .

ويؤدي الخوف الشديد إلى كبت الطفل لرغباته الشبقية نحو أمه وميوله العدوانية نحو أبيه وتسمى الرغبات الشبقية نحو الأم التي يلقيها عقل الطفل في اللاشعور (عقدة أوديب) كما تسمى المخاوف المكبوتة من تهديد الوالدين له عقدة (الخصاء).

ويعتقد فرويد إن كل طفل قد مر بذلك الموقف الأوديبي، ولكن الأفراد يختلفون في درجة تخلصهم من الآثار العميقة التي تطبعها في شخصياتهم والتي تلازم البعض طيلة حياتهم إذ تصبح عقدة دفينة لا تؤثر على علاقة الفرد بأبيه وأمه حسب بل بسائر الرجال والنساء فيما بعد، كما تعمل على كبته لميوله الجنسية والعدوانية، سواء في الطفولة أو بعد المراهقة بل على تكوين الضمير أو (الأنا الأعلى) الذي يردعه لاستنهائه من أي عمل محرم(الخولي ، ١٩٧٦ : ١٠٣).

ودراسة العقاد عن أبي نؤاس فقد زاد فيها علم النفس حتى سببت لكثيرين الخلط والاضطراب في تحقيق منهج العقاد كله والذي دعاه إلى أن يزيد من استخدام علم النفس حتى نص ذلك في العنوان قائلًا دراسة في التحليل النفساني فكان دوره في هذا دور العالم المصحح الذي يقول كلمة الفصل في هذه الشخصية معللا شاعريتها وكان مطبقا للنقد العلمي الذي نعرفه بانه أول من طبقه في النقد العربي فقد كانت الفكرة الشائعة عن ابي نؤاس انه شاذ بمعنى حب الإنسان لجنسه(homosexuality) والشذوذ بمعنى حب الإنسان لجنسه (homosexuality) لا يفسر هذه الحالة ويزيدها إيهاما عند البحث عن أسباب النزعة ومواضع الزيغ فيها وإنما تفسرها(مجموعة من التلاميذ، د.ت : ٢٢١) النرجسية وما طبع عليها المصابون بها حسب اختلاف التلبيس والتشخيص فاذا اشتهى ذاته ولبسها بواحد من الجنس الآخر ظهر انه مستقيم على سواء الطبيعة، وهو في الحقيقة شاذ على الحالتين لان العلة هي الاشتهاء الذاتي ولازمة التشخيص والتلبيس.

ثم يفسر أكثر فيقول : وهذه «النرجسية» شذوذ دقيق يؤدي إلى ضروب شتى من الشذوذ في غرائز الجنس وبواعث الأخلاق، ويلتبس الأمر من أجل هذا بين النرجسية، وتلك الضروب المختلفة من الشذوذات الجنسية... فقد تميل بصاحبها إلى العلاقة الطبيعية بين الذكر والأنثى، أو تميل إلى علاقة شاذة بين شخصين من جنس واحد، كما كان يحدث أحيانًا من أبي نواس في غزله بالمذكر تارة وغزله بالمؤنث تارة أخرى، وفي الجمع أحيانًا بين ما يزعمه عشقًا لأكثر من فتاة واحدة، وما يزعمه عشقًا لأكثر من فتىً واحدٍ، ولا أصل للعشق في نهاية المطاف غير النرجسية في قرارها العميق.

ومع هذا الإيغال في علم النفس لم يتبع العقاد مدرسة واحدة من مدارس التحليل النفساني ولكنه استخدمها جميعا في توضيح تلك الشخصية (مجموعة من التلاميذ، د. ت ، ٢٢٢).

وأول من أدخل هذا المصطلح (النرجسية) في الطب النفسي رائد المباحث الجنسية المشهور "اليس" (harelock elis) ثم توسع الأطباء النفسيون في دراسة هذه الآفة وتتبعوا أعراضها ولوازمها واستقصوا ما هو من لوازمها الأولية، وما هي من لوازمها الثانوية أو التبعية، فأصبحت بعد هذه الدراسات قسما قائما بنفسه من شذوذات الغريزة الجنسية واشتملت على آفات تنطوي تحت عنوان واحد هو(النرجسية) (العقاد، ١٩٦٧: ٣٦–٣٧).

المبحث الثاني

ملامح المنهج النفسي في ذهن العقاد ونموذجها الأول أبو نؤاس

١- (الشخصية النموذجية) أو أشهر الشعراء :

شهرة أبي نؤاس : اشتهر في الأدب العربي عشرات من الشعراء والأدباء، يعرفهم قرّاء الأدب ورواته، ولا تصل أسماؤهم – فضلًا عن أخبارهم – إلى البسطاء من غير المهتمين، ما عدا شاعرًا واحدًا اشتهر من بين هؤلاء الشعراء والأدباء في بابه فسمع به البسطاء ، واتخذوا من اسمه علمًا على كل من يشبهه في صورته عندهم، وصحفوا ذلك الاسم تصحيفًا يدل على مصادره الأمية، فعرفوه باسم «أبي النوّاس» بتشديد الواو وزيادة الألف واللام للتعريف على الدوام.

ولم يكن شذوذ هذا الشاعر عن هذه القاعدة لسهولة شعره، فإن البسطاء الذين يتناقلون أخباره ونوادره لا ينقلون بيتًا واحدًا من شعره، ولا يروونه مصحفًا أو بغير تصحيف، وإنما يعرفون الشاعر «شخصية» ذات أخبار، ولا يعرفونه قائلًا ينظم الأشعار (العقاد ، ١٩٦٧ : ١٠).

وكانت من أسباب هذه الشهرة في الواقع غطاء على حقيقة(أبي نؤاس) فوق غطاء، فهي تخفيه ولا تبديه ومن عمل الدراسة النفسية والدراسة التاريخية أنْ يبرزا تلك الحقيقة من وراء تلك الأغطية(العقاد، ١٩٦٧: ٢٨). والغالب على شخصية أبي نؤاس في تصور العقاد أنها شخصية النديم اللاهي (الحاذق) ويكاد العقاد يكتبها (الحدق) بالدال وعلى غير صيغة اسم الفاعل(ذياب ، ١٩٦٥: ٣٠١) ؛ لأن «الحداقة» كما يفهمها العامة هي أم الصفات التي تتغلب على «النوّاسي» في روايات أشباه الأميين، ومنها سرعة الجواب والفهم بالإشارة، أو الفهم الذي يوشك أن يكون اطلاعًا على الغيب، مع اللباقة في اللعب بالكلام أو اللعب بالأفهام على حسب المقام، ولا سيما اللهو ونبذ الحياء والملام(ذياب ، ١٩٦٥: ٣٠١).

وفي تصورنا إنّ ميزة العقاد في دراسته الأدبية على هذا المنهج تتمثل في إنّه لا يتبع الشخصية التي يتناولها من المهد إلى اللحد ليريك تطورها؛ لأن الشخصية الإنسانية في تصوره جوهر ثابت مستقر تكشف الحوادث المتوالية مختلف جوانبه وعناصره المكونة، وقد تصقله الحوادث وتهذبه ولكنها لا تحيل طبيعته. ومتى عرفنا جوهر هذه الشخصية الذي يسميه العقاد (مفتاح الشخصية) أمكننا أن نعرف سلوكها في شتى المواقف العارضة والمواقف المفاجئة... وامكننا أن نعرف ذلك اعمق خوالجه وأدق لوازمه (ذياب ، ١٩٦٥: ٣٠٠) .

والعقاد كواحد من النقّاد العرب المحدثين الأوائل الذين تبنوا المنهج النفسي في دراستهم لمجموعة من الشعراء العرب، ومن بينهم أبو نواس، حاول من خلال شعره أن يبحث عن مفتاح شخصيته، من أجل تفسير نفسيته وممارساته غير السوية التي أعلن عنها في شعره بكل وضوح، فانتهى إلى أن مفتاح شخصية أبي نواس هو النرجسية وتمظهراتها المتمثلة في الاشتهاء الذاتي، والتوثين الذاتي، ولازمة التلبيس والتشخيص، ولازمتي العرض والارتداد(هيهات ، ٢٠٠٣: ٣).

مفتاح الشخصية :

وتقوم دراسة الشخصية على دراسة البيوغرافية للشعراء العباقرة عند العقاد على المقومات الآتية :

١-رسم الصورة النفسية والجسدية.

٢-استنباط مفتاح الشخصية.

٣-أما الدراسة نفسها، فتعتمد على منحيين اثنين أولهما: المنحى "النّفسيّ الفنّيّ" أو "السّيكوفنّيّ"، ثانيهما: المنحى "النّفسيّ الجسميّ" أو "السّيكوسوماتي".

واعتمد العقاد في رسم الصورة النفسية على ظروف العصر والبيئة، والنشأة، والسياسة، والثقافة، وكل ما يتّصل بهذه الظروف من عوامل الاستعداد الموروث من جانب الأبوين، وعوامل الاستعداد الفطري من جانب تكوين الشخصية ذاتها،

كالتكوين النفسي والخُلقي والمزاجي. وينبغي أن نعرف إنّ هذه الظروف والعوامل لم تكن مقصودةً لذاتها بوصفها أدواتٍ معرفيّة، وإنما توصل بها الناقد الوصول إلى ملامح الصورة النفسية.

أما الصورة الجسدية، فقد اعتمد في تشكيل ملامحها على الوصف الخارجي للبنية الجسدية، وكل ما يتصل بهذه البنية من علامات مميّزة. وهذه العناية يوصف الملامح النفسية الجسدية تجسّد ما يُسمّى في علم النفس بـ "التّشخيص النفسي" psychodiagnos" القائم على دراسة الشخصية بوساطة الظواهر الخارجية (مختاري ، ١٩٩٦: ٢٢) .

ويحمل هذا المفتاح، عند العقاد، أكثر من رسم فهو "محور الحياة" و"مسبار الطبيعة"، وهو تلك "الأداة الصغيرة التي تتيح لنا فكّ مغالق الشخصية والنّفاذ إلى سريرتها، دون أن تزيدَ على هذا؛ لأنها لا يمكن أن تحيط بكل صفاتها وخلائقها، ولا يمكن أن تمثّل كل خصائصها ومزاياها(مختاري ، ١٩٩٦ : ٢٣)، تماماً كما هو مفتاح البيت قد ينفذ بنا إلى حصنه المغلق وراء الأسوار والجدران، ولكنه لا يصف شكله وصفاً تامّاً، ولا يمثّل اتساعه تمثيلاً كاملا.

فمفتاح الشخصية، بهذا المعنى، شبيه بمفتاح البيت، كلاهما صادقٌ قد يسهل أو يصعب إيجاده بحسب طبيعة الشخصيات والبيوت، وليست السهولة والصعوبة– ههنا في نظر العقاد – مرتبطين بالكبر والصغر، أو بالحسن والدّمامة، أو بالفضيلة والنقيضة. فقد نلج الشخصية العظيمة بمفتاح بسيط وعلى العكس من ذلك، قد يتعذّر علينا إيجاد مفتاح الشخصية الهزيلة الناقصة. تماماً كما هو البيت أيضاً، فقد يكون كبيراً حصيناً، ومع هذا، فهو غير عسير الفتح، نلجه بمفتاح صغيرٍ، في حين يصعب فتح البيت الصغير المتواضع (مختاري ، ١٩٩٦ : ٢٣), ولهذا يعيش بعض الشعراء مذكورا مألوفا بمائة بيت تروى له وتدل عليه، ولا يعيش غيره بعشرة دواوين تحفظها المكاتب والقراطيس؛ لأن الأول قد استطاع أنْ يدل على شخصه بأبياته المائة فاقترب من النفوس، وإنّ النقد هو: التميّز والتميّز لا يكون إلاّ بمزية والطبيعة نفسها تعلمنا سنتها في النقد والانتقاء حين نفضي عن كل ما نشابه ونشرع إلى تخليد كل مزيّة تنجم في نوع من الأنواع فسواء أنظرنا إلى الغرائز التي ركبتها في مزاج الأنثى أم إلى الغرائز التي ركبتها في مزاج الفنان وهما المزاجان الموكلان بالإنتاج والتخليد في عالم الأجسام والمعاني والنقد الذي يجري على سنة الطبيعة أو هو النقد الذي يعني بحفظ النماذج وتخليدها ويعرض لنا (الشخصيات) التي تبرز في الحياة بعنوان جديد ، وقد تكون ميزة هذه الشخصيات أنها تربك الأشياء الدارجة كما هي بلا زيادة أو تحميل

(التونسي ، د. ت : ٢٦٣-٢٦٤).

الإباحية عند أبي نؤاس :

كان أبو نواس «شخصية نموذجية». ولكنها ليست هي الشخصية التي شاع بها ذكره بين البسطاء من غير المهتمين، وبين طائفة من خاصة المطلعين على الأدب الفصيح، وهي الشخصية التي تقوم على الحيلة والجواب السريع والقدرة على الخلاص القريب من المآزق والمحرجات.

فما هي حقيقة الشخصية النوّاسيّة التي أشاعت ذكره في أيام حياته، وقبل أن تتحول بها الشهرة من دلالة إلى دلالة أيسر ما يقال في كلمة واحدة أنه «إباحي».

إذن : (أبو نؤاس الإباحي) وقد كان حقًّا إباحيًّا غاليًا في الإباحة، إذا كان المقصود بالإباحة أنه كان يستحل المحرمات، ويخالف الدين والعرف والطبيعة.

ولكن الإباحي قد يخفي رذائله وموبقاته، وقد يداري الناس ويتسم بينهم بسمة الصلاح والتقوى، ولعل الأكثرين من الإباحيين في عصر أبي نواس خاصة كانوا على هذه السُّنة؛ لأنه كان باتفاق واصفيه عصر شكوك واختلاط ونفاق. وأيسر ما يقال بعد ذلك أنه «إباحي متهتك» يظهر أمره، ولا يتكلف لإخفائه وذلك وصف صحيح.

فمن قال عن أبي نواس: إنه «إباحي متهتك» فقد وصفه بما كان عليه ؛ لأنّه كان يقارف المنكرات ويعلنها ولا يحفل بمداراتها، وهذا يكفي للصدق في وصفه على حقيقته، ولكنه لا يغني شيئًا إذا كان المقام مقام دراسة نفسية، إذ المرء

قد يستبيح الرذائل ويتهتك في البطالة، ويتمادى في تهتكه غادية التمادي لعلَّتين متناقضتين ترجع كل منهما إلى خِلالٍ نفسيةٍ بعيدة من خِلالِ الأخرى في بواطنها وظواهرها(العقاد ، ١٩٦٧ : ٢٩-٣٠).

فقد يتهتك المرء؛ لأنّه هينٌ على نفسه يعلم أنه هين على الناس، مُسلِّم بهوانه، شاعر بقلة الجدوى من التستر والمداراة، وأنه يهبط من المهانة إلى حضيضها، فلا ينفعه أن يحتجب ولا يضره أن يتكشف ويتبذل، ومثله في هذا مثل الوضيع الذي لا يبالي أن يخرج للناس في مباذله، إذ ليس له زي غير زي المباذل، ولسان حاله كلما أحاطت به نظرات الاحتقار قول القائل: أنا الغريق فما خوفي من البلل بل لعل النظرات لا تحفل به وتتخطاه لهوان شأنه، فلا تقف عنده محتقرة أو غير محتقرة.

هذه حالة من حالات التهتك أو المجون، وهو كلمة واحدة في اللغة أما الحالة الأخرى فهي نقيض هذه الحالة في باطنها وظاهرها؛ لأن صاحبها يتحدى بها الناس عامدًا أن يسخر منهم، ويكشف رياءهم(العقاد ، ١٩٦٧ : ٣١) ، وقد يهون عليه شأن الرياء والصراحة، فلا يعلن رذائله كراهة للرياء وحبًّا للصراحة؛ بل يعلنها؛ لأنّه يريد أنه «يقرر شخصيته» ويشعر الناس بوجوده، ويستخف بما يسترونه ويعلنونه، فلا هو مكترث لهم متسترين ولا مكترث لهم معلنين. فهو الذي يقول في الجهر بمعاقرة الخمر بيته المشهور:

ألا فاسقِني خمرًا وقل لي: هي الخمر ولا تسـقني سـرًّا إذا أمكـن الجهـر

ثم يفسر العقاد آفات أبي نؤاس جميعاً ومنها ظاهرة التحدي بالإباحية المتهتكة(ذياب ، ١٩٦٥ : ٣٠)، ولو كانت الإباحية النواسية مقصورة على ما اشتهر به أبو نواس من إدمان السكر، وإيثار الذكران على الإناث، لما فسرتْها ولا فسرتْ شيئًا من هذه الظاهرة النفسية الواضحة ؛ وهذا مما أكده العقاد ، فإن صاحب الإباحية المقصورة على إدمان السكر، وإيثار الذكران على الإناث قد يخجل منها، ويسترها ويجتهد اجتهاده للخلاص منها، وقد ينتهي به الأمر إلى التهتك الذي وصفناه في الحالة الأولى، وهي حالة المهانة والاستكانة إليها. وإنما تفسر آفات أبي نواس جميعًا ظاهرة نفسية أخرى هي «النرجسية»، التي جعلناها عنوانًا لهذا الفصل، وفيها تفسير لآفته الكبرى وتفسير للآفات الصغرى(العقاد ، د. ت : ٣٢) .

آفات أبي نؤاس الجنسية

«النرجسية» شذوذ دقيق يؤدي إلى ضروب شتى من الشذوذ في غرائز الجنس وبواعث الأخلاق، ويلتبس الأمر من أجل هذا بين النرجسية، وتلك الضروب المختلفة من الشذوذات الجنسية، وهي مخالفة لها في دخيلها، مناقضة لبعضها في ميولها ونزعاتها، فقد تميل بصاحبها إلى العلاقة الطبيعية بين الذكر والأنثى، أو تميل إلى علاقة شاذة بين شخصين من جنس واحد، كما كان يحدث أحيانًا من أبي نواس في غزله بالمذكر تارة وغزله بالمؤنث تارة أخرى، وفي الجمع أحيانًا بين ما يزعمه عشقًا لأكثر من فتاة واحدة، وما يزعمه عشقًا لأكثر من فتى واحد، ولا أصل للعشق في نهاية المطاف غير النرجسية في قرارها العميق(العقاد ، د. ت : ٣٢).

ما هي النرجسية : اللفظ والاصطلاح :

قبل أن نشرح هذه النرجسية كما يفهمها المحللون النفسيون نذكر نشأة اللفظ والاصطلاح؛ لأنها ذات صلة قوية بالمعاني التي أوحت(العقاد ، د. ت : ٣٤) إلى المحللين النفسيين أن يطلقوا الكلمة على مدلولها بين الآفات الجنسية على الخصوص.

كان اليونان يطلقون (اسم نرجس) على فتى من فتيان الأساطير بارع الحسن ساحر الشمائل، يفتن من يراه ويشقى بجماله ويتيه بقلوب العذارى الخفرات، فلا يلتفت إليهن ولا يستجيب لضراعتهن، ولم يزل كذلك حتى ضجت السماء بدعاء عاشقاته

وصلواتهن إلى الأرباب أن يصرفوهن عنه أو يصرفوه عنهن، واستجابت «نمسي» ربة القصاص والجزاء(العقاد ، د. ت : ٣٤) إلى هذا الدعاء، فقضت عليه أن يهيم بحب نفسه ويلقى منها الشقاء الذي تلقاه منه عاشقاته.

قال رواة الأساطير: «فما هو إلا أن ذهب يشرب من ينبوع صاف حتى لمح بصورته في مائه، فوقف عندها يعجب من جمالها، وأذهلته الفتنة عن شأنه فلم يبرح مكانه مطرقًا إلى الماء؛ ليتملى تلك الصورة ويرتوي من النظر إليها، فلا يزيده النظر إلا لهفة وشوقًا، ولا تزيده اللهفة إلا هزالًا حتى فني، وذهبت عرائس الماء تطلب رفاته فلم تجد في مكانه غير نرجسة مطرقة ترنو إلى الماء، ولا ترفع بصرها إلى السماء، فالنرجس أبدًا مطرق مفتوح العين لا يشبع من النظر إلى خياله على حوافي الجداول والغدران»(العقاد ، د. ت : ٣٤) .

فالنرجسية : عقدة جنسية وهي حب المرء نفسه جنسيا هكذا يبدو المرء في هذه التصورات السقيمة عبدا لدوافعه البيولوجية أو لمكبوتاته الداخلية، ولاسيما الدوافع الجنسية، وإنّ الحكم الفرويدي يقوم عندئذ على أنّ الأديب إنسان مريض، تحركه غرائزه وقبل أن يكون شريرًا وهو يتفق في ذلك المذهب الطبيعي الذي يرفض أن يدين كائنا لم يكن مسؤولا فالأديب – ولاسيما الشاعر– إنسان غير سوي، وهو شهواني على رغمه والغريزة الجنسية أم الغرائز، وإنّ جميع صور الجد والحماسة وغير ذلك مما يظهر في الشعر يرتد إلى هذه الغريزة ويرمز إليها(قصاب ، د. ت : ٥٨) .

بصمات النرجسية في نفسية أبي نؤاس :

الاشتهاء الذاتي والتوثين الذاتي

وتعنينا هنا شعابها التي تتصل بدراسة أبي نواس وموضوعات عشقه وغزله، وأهمها شعبتان: تسمى إحداهما الاشتهاء الذاتي Auto-erotism، وتسمى الأخرى التوثين الذاتي Auto-Fetishism، وبينهما فرق دقيق ولكنه غير حاسم ؛ لأنّ أعراض كل منهما قد تنساب إلى الأخرى في مسارب النفس الخفية، ودخائل الغريزة المكنونة، وما أكثر المسارب والدخائل في هذه الشؤون.

فالاشتهاء الذاتي يغلب على الحالات الجسدية التي تقترن باختلال وظائف الجنس في صاحبها، ويبلغ الاختلال هذه الوظائف أن المصاب به يمنى إذا أطال النظر إلى بدنه عاريًا في المرآة وما إليها (العقاد ، د. ت : ٣٧) . وهذه احدى فئة الاضطرابات الجنسية يعتمد الإشباع الجنسي بشكل مرتفع أو كامل على التخيلات أو الدوافع أو أنماط السلوك التي تقع خارج مدى القبول الاجتماعي للسلوك الجنسي وتُتمّي (الاستعرائية) (فايد ، د. ت : ٣١٠). أو إنّه يشتهي بدنه كأنه بدن إنسان غريب ولكنها شهوة يبالغ فيها المريض؛ لأنّ الإعجاب بالأبدان الغريبة لا يستغرق شعور المرء كما يستغرق الاشتهاء الذي صاحبه ويغريه على الدوام يتأمل جسده ومعاودة النظر إليه. ويحدث أحياناً ألا يكون النظر استحسانا محضا بل أسفا لبعض النقص واجتهادا في تحسينه والمغالطة فيه.

أما التوثين الذاتي يغلب على الحالات العاطفية والفكرية، فيتخذ المصاب به من نفسه وثنًا يعبده ويعزله ويدلّه، ويشوب هذا التوثين حب كحب المرء لمعشوقه، فهو لا يخلو من اختلال وظائف الجسد، ولكنه لا يبلغ بها مبلغ الحالة الأولى. وتلازم الاشتهاء الذاتي والتوثين الذاتي معًا لوازم متفاوتة في درجة الالتصاق بالآفة وتوابعها. فمن أبرزها وأقواها لازمة التلبيس أو التشخيص Identification، ومنها لازمة العرض Exhibitionism ولازمة الارتداد Regression (العقاد ، د. ت : ٣٨) . والصورة الجسدية وهي دراسة الشخصية بواسطة الظواهر الشخصية(مختاري ، د. ت : ٥).

لازمة التلبيس والتشخيص :

فلازمة التلبيس والتشخيص لا غنى عنها في هذا الضرب من الشذوذ الجنسي، وهو عشق الإنسان لذاته من الناحية الشهوانية، فالشاذ في حب جنسه أو حب الجنس الآخر يجد طلبته ويقضي مأربه، أما الذي يشتهي بدنه فليس في وسعه أن يقضي مأربه منه بغير الاحتيال لذلك (بالتلبيس والتشخيص)، فهو يلبس شخصيته شخصًا آخر يتوهم أنه هو ذاته أو يحل محل ذاته، كما يفعل (جالد عميرة) حين يضع أمامه صورة ، ويتخيل ما يحدث للمصاب بالاشتهاء الذاتي أن يختار

شخصًا آخر يحله محل نفسه في أوصافه البدنية أو الخيالية، ويتعلق به وهو في الواقع متعلق بذاته (العقاد ، د. ت : ٣٨) .

وبالمنطق وهاته البراعة الجدلية نرى العقاد يأخذ بزمام (سلامة موسى) ذاهبًا إلى أنّ (سلامة موسى) جمع من متناقضات العلم ما لا يفوقه إنسان في هذا الصدد، وذلك بسبب قوله عن أبي نؤاس انه شخصية (سيكوباتية) ويدّعي (سلامة موسى) إنّ أبا نؤاس لو عاش في مجتمع يختلوا فيه الرجال بالنساء ولو أنه تعلم الرقص، لما كان قد وقع واستسلم لشهواته الشاذة، ذلك إنّ الشاب الذي يرقص مع فتاة، وينظر إلى وجهها، ويتشمم شعرها، ويضع ذراعه على خصرها لا يمكنه أنْ يفكر حين يحب إلاّ في الجنس الآخر، وهذا هو العيب الأصيل في المجتمع الذي عاش فيه أبو نؤاس من شعراء العرب الذين تغزلوا بالصبيان. ناقشه العقاد في هذا الزعم ذاهبا إلى انّه كانت شخصية أبي نؤاس (سيكوباتية) (شاذة) فمعنى ذلك إنّه مخالف في تكوينه للمجتمع الذي عاش فيه(ذياب ، ١٩٦٥ : ٦٧١-٦٧٢). وإنّه لا يشبه الملايين الذين عاشوا في ذلك المجتمع ولماذا ينفرد مجتمع شعراء العرب بالآفة؛ لأنه محروم من الرفض والاختلاط بين الجنسين .

يتابع العقاد على أن أبا نؤاس– في تصور العقاد– لم يعتزل قط معاشرة المرأة ، بل قضى حياته بين القيان والغواني اللاهيات ، ونظم الغزل في أكثر من عشر حسان معروفات بأسمائهن، فلا ذنب للمجتمع العربي، ولا عصمة للمجتمعات الأوروبية أو الأميركية التي تمتلئ بالمراقص، ويختلط فيها الجنسان. ولا معنى للسيكوباتية مع تعليل الشذوذ بقلة الرقص أو قلة الاختلاط. «وليست هناك قلة اختلاط في حالة أبي نواس على الخصوص»(ذياب ، ١٩٦٥ : ٢٧٢-٢٧٣) .

ولازمة العرض تشمل الإظهار بجميع درجاته ، فإذا أمعن في الجسدية والشواغل الحسية شوهد المصاب به، وهو يكشف عورته، ويعرض أعضاءه ويتعرى من ثيابه أو يلبس الثياب التي تشبه العري، ولا تستر ما وراءها. ولكن الأكثر الأعم في لازمة العرض إنّها لا تُمعن هذا الإمعان إلاّ في حالة الجنون، وما يقاربه، وإنها تتحول إلى إظهار ولفت الأنظار على أساليب لا تحصى، وقد ينتهي بها التناقض أحيانًا إلى إعلان التقوى والظهور بين الناس بآثار التعذيب والتمريغ، وسمات العبادة، وإذلال النفس بتشويه الجسد وتلويثه (العقاد ، د. ت : ٣٧-٣٨).

ومن لم ينته التناقض به هذا المنتهى يشاهد عارضًا نفسه بالأزياء الغريبة والألوان الصارخة، ماضيًا في كل عمل من أعماله العامة على سنة الاشتهار بالمخالفة، على القول الشائع: «خالف تعرف».

أما الارتداد فهو يعتري الشواذ على أطوار منوعة ، وإنما يعتري النرجسيين من تلبيس ذواتهم بغيرهم، أو خلع ذواتهم على شخص آخر يلتمسون المشابهة بينهم وبينه، ولكنهم لا يظفرون في كل حين بشخص تام الشبه بهم في كل صفة وصبغة، فإذا اتفق لأحدهم أنّه رأى شخصًا يشبهه في الملامح والقوام ويخالفه في القوة ، فالذي يحدث في هذه الحالة أنّه ينتحل صفة القوة لنفسه كأنّه ارتدها إليه من الشخص الذي تلّبس بملامح ذاته، وتتفاوت درجات الارتداد في وصفين متناقضين إذا تناول بالتلبيس والتشخيص مثالين مختلفين، وهذه حالة عرضة للأعاجيب في أوهامها وأخيلتها، فقد تفضي بصاحبها إلى مجاراة الطبيعة والشذوذ في وقت واحد، فيخلع ذاته على امرأة مشتهاة، فهو من هنا طبيعي في حبه للجنس الآخر، ثم يتشبه بالنساء؛ لأنه أعاد إليه بالارتداد خصلة من خصال تلك المرأة لا توجد في الرجال، فهو من هنا شاذ عن السواء يحس إحساس المرأة نحو الرجل الذي تعشقه وتتصباه.

هذه اللوازم على أبي نواس في خلائقه الأولية وخلائقه التبعية، وتفسر جميع أحواله حيث لا يفسرها ضرب آخر من ضروب الشذوذ في المسائل الجنسية. فالشذوذ الذي يميل بصاحبه إلى عشق أبناء جنسه، والعزوف عن الجنس الآخر آفة لا تنطبق على أبي نواس؛ لأنه يغازل الجواري كما يغازل الغلمان، وكلامه كثير في استحسان الفتاة؛ لأنها كالغلام واستحسان الغلام؛ لأنه كالفتاة(العقاد ، د. ت : ٤٠):

فهو يقول في جارية

غــلامٌ وإلا فــالغلامُ شــبيهُهَا وريحــانُ دنيــا لــذة للمعــانِقِ

ويقول في غلام:

من كفِّ ذي غنجٍ حلوٍ شمائلهُ كأنّــه عنــد رأي العـين عـذراء

والشذوذ بمعنى حب الإنسان لجنسه Homosexuality لا يفسر هذه الحالة بل يزيدها إبهامًا عند البحث عن أسباب النزعة ومواضع الزيغ فيها، وإنما تفسرها النرجسية وما طبع عليه المصابون بها من اختلاف الهوى حسب اختلاف التلبيس والتشخيص، فإذا اشتهى ذاته ولبسها بواحدة من الجنس الآخر ظهر أنه مستقيم على سواء الطبيعة، وهو في الحقيقة شاذ وقد كان هذا التلبيس يبدو في غزل أبي نواس صراحًا مكشوفًا حين يختار لهواه غلامًا ألثغ كأبي نواس، وإن كانت لثغة هذا بالراء ولثغة ذاك بالسين، فيقول:

بـــأبي ألثـــغَ لأحججتـــه فقـــال فـــي غـــنجٍ وإخنـــاث
لمـــا رأى منـــي خلافـــي لـــه كـــم لقـــي النـــاث مـــن النـــاث
نازعتـــه صـــهباء كرخيـــةً قـــد حلـــبت مـــن كـــرْم حراث

ومما أشار إليه في مجونه، ولا حاجة إلى إيراده، أنّه كان يخاطب معشوقيه من الغلمان فيقول لهم: إنه كان معشوقًا مثلهم، ويحكي لهم كيف يتشبهون به مع عاشقيه، وفي نسيبه بالنساء تدليل لنفسه يومئ إلى أنوثة كامنة في طبعه (العقاد ، د. ت : ٤١-٤٢):

لا تفجعي أمي بواحِدِها لن تخلفي مثلي على أمي

النفسية الجنسية لأبي نؤاس :

في المشاهدات المتكررة يجنح ذوو التجارب بأن غياب أطوار الرجولة يبرز أطوار الأنوثة ولا يحدث العكس، أي إنّ غياب الأنوثة لا يعطي للرجل صفات جنسه النفسية أو الجسدية وتفعل البواعث النفسية فعلها في حالات شتى من الشذوذ الجنسي الذي لا يقبل التعليل بغيرها ولا يتأتى خلوه فيها، إذ لا يخفى إنّ الصلة بين الرجل والمرأة لا تقوم على الوظيفة التناسلية بمفردها ، بل تتبعها في المجتمعات المتحضرة، ومجتمعات البداوة أحيانًا أشواق نفسية ومطالب اجتماعية .

إنّ زيادة الهرمونات المذكورة خليقة أن تصرفه إلى الإفراط في حب الإناث، وإن نقصها خليق أن يلحقه بالمتأنثين: أما الرغبة التي تقيد الرجل بأبناء جنسه، فليس لها تعليل معقول من قبل الهرمونات، ولا بد من الرجوع بها إلى الحالات النفسية والعادات العارضة، سواء نشأت من ظروف المجتمع، أو من البيئة المنزلية في نطاقها المحدود(العقاد ، د. ت : ٦٩-٧٠).

قال ابن منظور في أخبار أبي نؤاس (كان حسن الوجه، رقيق اللون، أبيض حلو الشمائل، ناعم الجسم، وكان شعره منسدلًا على وجهه وقفاه وكان ألثغ بالراء يجعلها غينا وكان نحيفًا وفي حلقه بحة لا تفارقه) ، ويكاد يتمثل لنا من هذه ملامح صورة نرجسية للحُسن والعيان قبل النرجسية النفسية التي يدور عليها بحث علماء الأمراض النفسية فالبياض والرقة والنعومة والملاحة والشعر المتهدل أشبه ما تكون بملامح الفتى (نرجس) (فتى من الأساطير اليونانية الذي حنا على الجدول فاستحال نرجسه واتخذه الاسطوريون اليونان (نموذجا للجمال المفتون بمحاسنه) . وتضاف إلى لثغة أبي نواس، وبحته ظاهرة لها علاقة بالنفسية الجنسية، وبالكيان الجسدي المتصل بهذه النفسية، فالضفيرة التي كانت مرسلة من رأسه تنبئ من الوجهة النفسية التي كان أهله يشعرون بها ولا ريب عن صبي شبيه بالبنات ترسل له الضفائر تدليلًا ومجاراة لسيماه الغالبة عليه، هذا التدليل من علامات النرجسية التي يرجع فيها إلى أثر البيت والتربية.

ويبدو أنّ أبا نواس قد أراد الاحتفاظ بهذه الضفيرة بعد بلوغه سن الرجولة معتزًّا بغزارة شعره، فأشفق من السخرية والعبث ولم يسترح إلى نبذها مرة واحدة، فاستعاض عنها بتسفيط شعره وبقائه منسدلًا على جبهته وقذاله (القذال بالفتح ما بين نقرة القفى الى الاذن) ، وهذا إلى نعومة الجسم وخلوه من الشعر، علامة جنسية لا تهمل مع إضافتها إلى غيرها من العلامات المتوافقة. فالمعهود في شعر الرأس أنه من العلامات الجنسية الثانوية، وأنه على صلة بهرمونات الذكور والإناث على السواء. ويتعرض الرجل للصلع بعد سن الشباب على الأغلب، فقلما يصلع الشبان في إبان القوة الجنسية(العقاد ، د. ت : ٧٧-٧٩).

إضافة إلى هذا خلو جسمه من الشعر واحتباس جهازه الصوتي عند الحالة التي تتوسط بين الصبا والشباب كانت هذه العلاقة أيضًا خليقة أن يتلفت إليها، ولا تهمل في سياق الفحص عن الجنسيات والنفسيات. كذلك عن شعوره بمحاسن بدنه شعورًا نرجسيًّا كالعشق الذي يعنيه الأطباء النفسانيون، فإن مفاخرته لأبي القشير واعتزازه بفراهة بدنه، وذكرى التيه الذي كان ينعم به في صباه وأشباه ذلك من نوادره وقصائد مجونه ، يقول أندريه تريدون Tridon في كتابه «التحليل النفسي والأخلاق»: إن المحللين النفسيين متفقون جميعًا على تكوين الشذوذ الجنسي في صورته المنفعلة، فإن الصبي الشاذ المنفعل هو في جميع الحالات ابن أيم أو زوجة مطلقة فارقت زوجها بالموت أو الهجر والمقاضاة عقب ولادة الطفل، فنما الطفل مضطرًّا إلى التماس قدوة يقتدي بها فوجد هذه القدوة في أمه، وكبر وهو يحاكيها في الإعراض عن النساء والمبالاة بالرجال، وأصبح كالمرأة في كل اعتبار غير اعتبار التشريح، ثم يدرك الرغبة الجنسية على النحو الذي تدركه المرأة، فيتمنى مثلها أن يحرزه رجل كما يحرز النساء. والانحراف الوحيد الذي يفسر هذا المرض في جميع أعراضه هو النرجسية أو الغرام بالذات.

فَدَاء أبي نواس هو النرجسية بدخائلها وتوابعها وخفاياها وألوان شذوذها. وليس داؤه الشذوذ الجنسي بمعنى الشغف بأبناء جنسه، والإعراض عن المرأة، فإنه لم يكن يعرض عن المرأة، وليس الشذوذ الجنسي بهذا المعنى دافعًا إلى العلانية والإباحة، إنما هذه تفسر حالة الفاعل والمنفعل وتفسر غرامه بالنساء وكل ما عُرف عنه من الشذوذات الجنسية وتفسر ولعه بالعرض والعلانية واستهتاره بسوء القالة ؛ لأنّ كل هذا يتولد من تشخيص الذات بالصورة التي يستملحها النرجسي (العقاد ، د. ت : ٨٠-٩٩).

لازمة المجون والجهر بالخمر

وكان لأبي نؤاس شأن في تلمس الإظهار والجهر بالمحرمات فلم ينظم شعرا في الخمريات أو الغزل أو المجون إلاّ تبين منه الجهر بالمحرمات أدنى إلى هواه من المتعة بالمحرمات

قال : (العقاد ، د. ت : ٤٤)

وإنْ قالوا حرام قل حرام ولكن اللذاذه في الحرام

وتعتبر هذه من الطبائع التي تسلل إليها العقد النفسية؛ لأنه كان يبوح بتصرفاته ويكشف عنها ويجاهر بها أمام الناس إنما العقد النفسية تتكون للكبت والكتمان إلاّ عقدة واحدة هي (عقدة الإدمان) فقد غلبته هذه العقدة لأنها جاءته من طبيعته النرجسية ومنادمته الخمر من قبيل الزهو والتبجح فهي التي تنفث فيه الفخار والتعويض بديلا من فخار وسمو السادة الأصلاء الواعين، وهناك خلق أخرى تتعلق بالنرجسية بإدمانها الخمر... تلك هي نوبات السأمة التي تعاود النرجسي كلما خلا إلى نفسه فاذا ما أعانتها بواعث أخرى مقيتة من غواية الطبع أو البيئة تمادى بها حب الخمر إلى الإدمان عليه مع سبق الإصرار وينبغي علينا أن لا ننسى في معرض الغوايات التي سولت لأبي نؤاس إدمان الشراب باعثا قويا نظنه إحدى هذه المغريات ذلك هو سوء العيش ونقص الغذاء الصحي المتوازن وافتقار الجسم إلى الحركة الحيوية، فأبو نؤاس قد عاش في ضنك وفاقة معظم أيامه على غير ما يتوهم المتوهمون إذ لا نستبعد في مبالغة المدمنين في إنفاقهم على الخمر

وإنما تأتي المصيبة الكبرى بسبب سوء تغذية المدمن وتدخينه إلى استفزاز البنية الجسدية والعقلية بالكحول وما إليه كأنه بديل من الفخر بالآباء وبديل من السآمة والفراغ والخواء(دقاق ، ٢٠٠٩ : ٧).

وقد تجلت للعقاد نرجسية أبي نؤاس بدءا من السلوك الإباحي الذي اتخذه أو الذي اذا ما نم لدى الشعراء الآخرين على عدم المبالاة بذواتهم حين إظهارها للناس وفق أي درجة من التهتك، فانه نم لدى أبي نؤاس حين إظهار ذاته هكذا على محاولته التركيز عليها، وتحقيق حضورها وان بهذه الطريقة غير المرضية يقول :

ألا فاسْقني خمراً، وقلْ لِي هيَ الخمرُ ولا تسقني سرّاً إذا أمكن الجهرُ

هذا وإنْ كنا لا نعدم النرجسية في حال دلالة الإباحية لدى أولئك الشعراء الآخرين على عدم مبالاتهم بذواتهم، لأنهم يعبّرون بذلك أيضًا عن عدم مبالاتهم بسواهم الذين تظهر أمامهم هذه الذوات ، أو يعبّرون عن ذلك الشطر من النرجسية التي تعني مقابل عشق الذات إهمال من هم خارجها. وهكذا فإن أبا نواس حين يشرب الخمرة، لم يفعل ذلك . وفق منظور العقاد . بهدف تحقيق التلذذ لذاته، إنما بهدف المجاهرة بسلوكه أمام الآخرين، ومن ثم إثبات مخالفته لهم ، ومن ثم إبراز ذاته وتمييزها على حساب ذواتهم ، وإن انطوى هذا كله على الحرام ، بل إن الحرام هنا هو المطلوب لدى الشاعر ما دام سيوصله هو ذاته بلفت الأنظار تجاهه إلى مبتغاه : (هلال ، ٢٠٠٦ : ٨)

وإن قالوا ((حرام؟)) قل ((حرامٌ!)) ولكنَّ اللّذاذةَ في الحرامِ

وكما يقال: إنّه نسب إليه أن الخمر لا تشرب إلاّ بثمن خنزير مسروق من زانية وكأنما ينعت محبوبه الذي يقول فيه:

كطالـــبٍ مـــثلًا قيـــ ـل خـالف النـاسَ تـذكَر

إن كبَّـر النــاس غنَّــى وإن تغنـــــوا يكبِّـــــر

ومن اللغو أن يبحث الباحث جدًّا عن مذهب أبي نواس في الزندقة، فليس له في الزندقة مذهب غير «العرض والإظهار». وقد روي عنه أنه انصرف من بعض المواخير سكران، فمر بمسجد قد حضرت فيه الصلاة فدخل فقام في الصف الأول، فقرأ الإمام: «قل يا أيها الكافرون» قال أبو نواس: لبيك! فلما قضيت الصلاة لببوه وساقوه للحساب. فأي مذهب من مذاهب الزندقة يسول لصاحبه هذا المجون، إنما هي آفة العبث بالمخالفة ولا شيء سواها يغريه بهذا السخف الذميم. وتتمثل هذه الشهوة (النرجسية) شهوة المخالفة والمغايظة يصور فيها ابليس بصورة المتوسل إليه بغواياته ليختار منها ما يحلو له وهو يأباها غواية بعد غواية ولا يزيد على أنْ يقول له (لا) من قبيل المكايدة والمعاندة لا من قبيل الزهد والعفاف.

ولا يخطئ القارئ في هذه الإبليسيات التي تروى لأبي نواس أو تروى عنه، ما تحتويه من خبيئة التعلل بالوجاهة والامتياز والظهور بين الأقران، فمما رواه (والبة بن الحباب) أستاذ أبي نواس أنه «كان نائمًا، وأبو نواس غلام نائم إذ أتاه آت في منامه، فقال: أتدري من هذا النائم إلى جانبك؟ قال: لا. قال: هذا أشعر منك وأشعر من الجن والإنس، أما والله لأفتتن بشعره الثقلين ولأغرينّ به أهل المشرق والمغرب، قال: فعلمت أنه إبليس فقلت له: فما عندك؟ قال: عصيت ربي في سجدة فأهلكني، ولو أمرني أن أسجد لهذا ألف سجدة لسجدت» (العقاد ، د. ت : ٤٨).

ومن رضاء أبي نواس أن يسجد إبليس له ولا يسجد لآدم، أما والبة فحسبه أن يقول: غلامي أبو نواس! وقد كان من منافع إبليس في مجون أبي نواس أن يكفل له وجاهة التمييز بالخمرة التي هو كُفء لها دون عذَّاله، فهو يخصه بهذا ويصرف عذَّاله عنها.

يقول :

دعـوت إبلـيس ثـم قلـتُ لـه لا تسـق هـذا الشـراب عـذَّالي

وما كل من يشرب الخمر نظيرًا لأبي نواس:

فـالخمر قـد يشـربها معشـرٌ ليســوا إذا جـــدوا بأكفائهـــا

ويقول :

لهـا تـاج مرجـانٍ وإكليـل لؤلـؤ تـرنم كالنشـوان بـين العواشـق
يـدور بهـا ظبـيٌ غريـرٌ متـوجٌ بتـاج مـن الريحـان ملـك القراطـق

فإن الخمر أداة حب للتدليل الذي يكمن في أعماق «النرجسية»، وحب أبي نواس لها حب للتدليل الذي لا تستغني عنه طبيعة الافتتان بالذات أو توثين الذات، ومن هذا التدليل هذا الترنم بالتاج والملك والامتياز بمقام للشرب لا يكافئه كل مقام، وما كان هذا الشعور خبيئة عميقة في نفس الشاعر «النرجسي» وحسب، بل كان على طرف لسانه، وكان أحيانًا يلحى السكر في سبيل أحلامه، وهو لا يلتفت إلى مغزى ما يقول حيث قال: (العقاد ، د. ت : ٤٩)

وأصبحت الحى السكر والسكر محسن ألا ربَّ إحسانٍ عليَّ ثقيل

فها هنا حلم مستقل عن حلم الخمر، ولكنه لا ينفك عن لازمة «النرجسي» المدلل لنفسه، ويكاد ينسى صاحبه — وهو من الساخرين — أنه عرضة للسخرية التي لا سخرية بعدها حين يتخيله القارئ نديمًا لخليفة لا يقبل منادمته بغير شرط، بل يشترط فيه «السواء». ثم يشرئب إلى عزةٍ أكبر من هذه العزة، فيزين له الحلم أنه قاطع سبيل مخيف؛ ليجمع الغنائم وينفق خمسها في سبيل الله، ويحرمه على الولاة ذوي البطنة الذين يأكلون الطيبات. ولا يغلط فيقول: ويشربون المحرمات. فمثل هذا الغلط من أبي نواس غير معقول حتى في الأحلام ونحسب أن الفارق قد اتضح من هذه الأمثال بين أنواع التفكير والإباحة، ولاسيما إباحة «الشخصية العاتية»، وإباحة «الشخصية النرجسية».

فالعاتي الذي يستبيح المحرمات يبطل التحريم والتحليل ولا يعرفهما ، أما الشخصية النرجسية فلا يلوح من عملها وقولها: أنها تريد إبطال المحرمات، بل يلوح من كل أعمالها وأقوالها أنها على نقيض ذلك؛ تريد أن تستبقي شيئًا محرمًا لتستبيحه، وأمرًا ملزمًا لتنعم بعصيانه، وهي تلك الإباحية النرجسية التي تقترن بتوثين النفس وتدليلها ولا نموذج لها في الأدب العربي أوفى لعوارضها من أبي نؤاس(العقاد ، د. ت : ٤٩-٥٣) .

المبحث الثالث

طبائع الأمزجة في نقد العقاد النفسي ونماذجه

١. ابن الرومي (اختلال الأعصاب)
٢. جميل بثينة (مزاج الفحولة)
٣. المأخذ على المنهج النفسي

الأدب ليس جعجعة كلامية، ولا تأنقا لفظيا فحسب ولكنه روح وجسد اللفظ كما يقول ابن رشيق (جسم وروحه المعنى وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم يضعف بضعفه ويقوى بقوته).

إنّ الاتجاه النفسي في درس الأدب يحاول أن يتتبع حياة المؤلفين لإيجاد العلاقة بينهم وبين أدبهم؛ ولأن العمل الأدبي انعكاس لشخصية صاحبه ، فإنّه في المقابل عيون على فهم حياته ، ووثيقة من الوثائق التي ترشد إلى تعرفها وتدون سيرتها، وهو مادة مهمة تسمح بسبر أغوار الكاتب النفسية، وهو يفترض كما رأى (دي اتش لورانس) أن الكاتب يسكب مرضه في كتبه، والناقد عندئذ يبدو محلّلًا، يتخذ الفن كالعرض المرضي، ويستطيع بتعليله وتفسيره أنْ يكتشف مكنونات

الفنان اللاشعورية، ودوافعه ويمكن أنْ تؤدي هذه الاكتشافات بدورها إلى فهم العمل الفني ، بل إلى تفسيره نفسه في حين يرى بعض علماء النفس أن الكاتب – عن طريق الكتابة– يتيح لرغباته المكبوتة أن تتسرب ، يرى بعض آخر النقيض، فيذهب إلى أن الكاتب يكبح جماح هذه الرغبات الأكثر، معتقلا نفسه في رموزه(قصاب ، د. ت : ١١٦).

ويقول العقاد إنّ الكلام جزء من نفس صاحبه، فوجب أنْ نفهم هذه النفس أولًا ليفهم كلامها بعد ذلك. (ويتابع) ليس الشعر لغوًا تهذي به القرائح، فتتلقاه العقول في ساعة كلالها وفتورها، فلو كان كذلك لما كان له هذا الشأن في حياة الناس. لا، بل الشعر حقيقة الحقائق، ولبُّ اللباب، والجوهر الصميم من كل ما له ظاهر في متناوَل الحواس والعقول، وهو ترجمان النفس، والناقل الأمين عن لسانها(نشأت ، ١٩٨٣ : ٥٩) .

إنّ التأكيد الذي نراه عند العقاد حينما يتعرض لنقد شاعر أو دراسته يقوم في المقام الأول على ظهور شخصيته في شعره كدليل أصالة ، وهو في تحليله لشخصية الشاعر يربط بينها وبين مظاهر وجوها في شعره أو ما يمكن أنْ يقف وراء أبيات معينة من مكونات هذه الشخصية.. فعل ذلك في دراسة ابن الرومي وأبي نؤاس وهو في نفس هذه الدراسات يعرف ما للبيئة من أثر في الأدب والأديب، ولكنه يحذر من الاعتماد على هذا المقياس، فالأدب عامة ليس تمثيلًا لأحداث الحياة كما هي، والا تحول الشاعر أو الكاتب إلى مؤرخ لان الشاعر المتفوق قد يخالف بيئته، وينقطع ما بينه وبينها فلا تشبهه ولا يشبهها إلاّ في معارض لا يصح بها الاستدلال(نشأت ، ١٩٨٣ : ٦٠).

ويتحدث العقاد عن ابن الرومي ويضع للشاعر أي مشاعر وليس لابن الرومي وحده منهجا لا ينبغي أنْ يحيد عنه، وهو يوجز ذلك المنهج في السطور التالية :

فنحن نقول: موجزين أن الطبيعة الفنية هي تلك الطبيعة التي تجعل من الشاعر جزءا من حياته، أيا كانت هذه الحياة من الكبر أو الصغر ومن الثروة أو الفاقة ومن الألفة أو الشذوذ.

وتمام هذه الطبيعة أنْ تكون حياة الشاعر وفنه شيئًا واحدًا، لا ينفصل فيه الإنسان الحي من الإنسان الناظم، وأن يكون موضوع حياته هو موضوع شعره، وموضوع شعره هو موضوع حياته، فديوانه هو ترجمة باطنية لنفسه، يخفي فيها ذكر الأماكن والأزمان، ولا يخفي فيها ذكر خالجه ولا هاجسه مما تتألف منه حياة الأزمان (المقالح ، د. ت : ١٠٣).

ابن الرومي ومزاجه المختل

المزاج : هو قابلية الفرد للانفعال وأسلوبه فيه ولذلك فهو دائم ومستمر بعكس الحالة المزاجية (MOOD) التي لا تستمر عادة إلاّ فترة قصيرة، وقد أرجع البعض المزاج إلى الفطرة، ودرجة قابلية المزاج للإثارة، والغدد الصماء، وتعتبر حدة المزاج (TEMPER) وصفا لشدة استجابة الفرد الوجدانية فيقال مثلا إنّ فلانا ضيق الخُلق (HOT TEMPERED) أي حامي المزاج. أما العاطفة فهي عبارة عن انتظام ميول انفعالية أي تنظيم مركب من عدة انفعالات ركز حول موضوع معين، وصوحب بنوع معين من الخبرات السارة أو غير السارة. فالعاطفة بذلك صفة مزاجية مكتسبة وخاصة، فهي صفة مزاجية ؛ لأنها تتكون من خلال تنظيم الدوافع حول موضوع معين، وهي مكتسبة (وإنْ كان لها أساس فطري) ؛ لأنّها نتيجة لتفاعل الإنسان مع البيئة، وهي خاصة؛ لأنّها لا تدخل في جميع أساليب النشاط الانفعالي بل في جزء منه (فايد ، د. ت : ٢٠٩) .

ويتحدث العقاد عن مزاج ابن الرومي واثره في إسرافه في كل شهوات النفس والجسد، وأثر هذا الإسراف ذاته في مزاجه، وأثرهما معا في وسوسته، وأثر هذه الوسوسة في استطراداته الشعرية وهي نموذج لمواضع كثيرة.

ولعل الأصوب أنْ نقول: إنّ ابن الرومي وقع من مزاجه وإسرافه في حلقة موبقة لا يدرى أين طرفاها، فمزاجه أغراه بالإسراف، والإسراف جنى على مزاجه، فإن هذا الإسراف الموكَّل بالاستقصاء في كل مطلب ورغبة خليقٌ ولا غرو أن يسقم جسمه، وينهك أعصابه، ويتحيف صوابه، بيد أنه لا يسرف هذا الإسراف إلا وفي جسمه سقم، وفي أعصابه خلل، وفي صوابه شطط لا يكبح جماحه، فالعلة هي سبب الإسراف، والإسراف هو سبب العلة! وهو من هذه الحلقة الموبقة في

بلاء واصب، ومحنة لا قبل بها للضليع الركين فضلًا عن المهزول الضئيل، وعلاقة كل ذلك باختلال الأعصاب وشذوذ الأطوار بدءًا وعودًا، ثم عودا وبدءًا أوثق علاقة من جانب الجسد وجانب التفكير.

ولا تعوزنا الأدلة على اختلال أعصاب ابن الرومي وشذوذ أطواره من شعره أو غير شعره، فإن أيسر ما تقرؤه له أو عنه يلقي في روعك الظِنّة القوية في سلامة أعصابه واعتدال صوابه، ثم يشتد بك الظن كلما أوغلت في قراءته والقراءة عنه، حتى ينقلب إلى يقين لا تردد فيه، وكل ما نعلمه عن نحافته، وتقزز حسه، وشيخوخته الباكرة، وتغير منظره، واسترساله في الوجوم، واختلاج مشيته، وهجائه، وإسرافه في أهوائه ولذاته، ثم كل ما نطالعه في ثنايا سطوره من البدوات والهواجس– قرائن لا تخطئ فيها الدلالة الجازمة(قطب، د.ت: ٢٣٢–٢٣٣) على اختلال الأعصاب، وشذوذ الأطوار، بل لا تخطئ فيها الدلالة على نوع الاختلال ونوع الشذوذ (قطب، د.ت: ٢٣٣) .

ونقول: «نوع الاختلال»؛ لأن هذه الكلمة عنوانٌ واسع يشمل من الحالات النفسية والجسدية مثلما تشمله كلمة «الصحة» أو أكثر، فهذا صحيح وهذا صحيح، ولكن البون بينهما جد بعيد، وهذا مختل الأعصاب وذاك مختلها، ولكن الخلاف بينهما في الأخلاق والمشارب كأبعد ما يكون بين فردين مختلفين من بني الإنسان، فتختل أعصاب المرء فإذا هو جسُور عنيد متعسف للأخطار، هجّام على المصاعب لا يبالي العظائم ولا يحذر العواقب، وتختل أعصاب المرء فإذا هو وديع مطيع، حاضر الخوف، متوجس من الصغائر، يبالغ في تجسيمها أو يخلقها من حيث لم تخلق، ولم يكن لها وجود في غير وهمه، وبين الحالتين نقائض وفروق لا تقع تحت حصر، ولا تطَّرد على قياس. وبديهي إنّ ابن الرومي لم يكن من الفريق الأول في (نوع اختلاله) ولكنه كان من الفريق الثاني الذي يستحضر الخوف ويكثر التوجس ويختلق الأوهام.

ومن أصحاب هذا المزاج من يخاف الفضاء، أو يخاف الماء، أو يخاف حيوانات منزلية لا قوة لها ولا ضراوة كالقطط والكلاب والجرذان، فابن الرومي واحد من هؤلاء نحسب أنّه كان مستعدًّا لهذه الهواجس طول حياته في صحته ومرضه، وفي شبابه ومشيبه، ونحسب أن استقصاءه للمعاني الشعرية والإلحاح في تفريعها وتقليب جوانبها إن هو إلا علامة خفيفة من علامات هذا الوسواس الذي لا يريح صاحبه، ولا يزال يشككه ويتقاضاه التثبت والاستدراك فيمعن ثم يمعن حتى لا يجد سبيلًا إلى الإمعان(العقاد ، ١٩٥٧: ١٢٨–١٢٩). ولكنه مع استعداده للهاجس في شبابه ومشيبه قد تمادى به الوسواس في أعوامه الأخيرة، حتى أصبح آفة متأصلة غلبت على أقواله وأفعاله جميعًا، فليس له عنها محيص، فأفرط في الطيرة، واشتد خوفه من الماء لا يركبه ولو أدقع، ودعاه إلى ركوبه من يمنونه الأرفاد وحسن الضيافة، وصور لنا ما يعتريه من خوف الماء تصويرًا لا يدل إلا على حالة مرضية، ولو كان التشبيه فيه من مجاز الشعر وتهويل الخيال. وهذا بعض ما قاله في مخاوفه وأهوال ركوبه:

ولـو ثـاب عقلـي لـم أدعُ ذكـر بعضـه ولكنـــه مـــن هولـــه غيـــر ثائـــب
وأظـــــل إذا هزتـــــه ريـــــح ولألأت لـه الشـمس أمواجًـا طـوال الغـوارب
كـــأني أرى فـــيهن فرســـان بهمـــة يليحـون نحـوي بالسـيوف القواضـب

والماء الذي يصفه هنا هو ماء دجلة لا ماء البحر ولا ماء المحيط!

هذه الوساوس هي: التي عناها في رواية المسعودي (العقاد ، ١٩٥٧: ١٢٩) : «إنّه كان الأغلب عليه من الأخلاط السوداء.» والذين روى عنهم المعري أنّه «كان أدبه أكثر من عقله»، وهي التي وسمته في نظر أبناء عصره بسمة الركاكة والجنون. بيّن أصحاب هذا المزاج أناس من نوابغ الشعر والفنون عرفوا بسرعة الملاحظة، وسرعة الخاطر، أو عرفوا – على الأصح – بسرعة انتقال الخواطر، وتعاقب الأفكار، واستحضار المناسبات الخفية والمشابهات البعيدة التي تدركها سرعتهم، ولا تدركها عقول السواد في بطئها، وأخذها بالسير المألوف(العقاد ، ١٩٥٧: ١٣٠).

اضطراب الخواطر عند ابن الرومي

وهي خصلة نافعة للشعراء والمصورين بما تقرب لهم من المشابهات البعيدة، وتبرز لهم من فوارق الأفكار الدقيقة، وظلال الأشكال المستسرة ، إذ لا يلزم من سرعة تفكيرهم أنهم يخطئون التفكير ويجيئون به مقتضبًا أو مشوهًا على غير استواء، فإنهم في هذه الخصلة كالآلة التي تنطلق بالصور المتحركة، فتعرض لك في لمحة ما يعرض في برهة، والمناظر بعد واحدة، والنسبة بينها كلها في استواء واحد، أو هم كالمجهر المكبر الذي يرى الأشياء كلها أكبر مما تراه العين المجردة وهي بعدُ صحيحة الأبعاد، مستقيمة الأوضاع، والعلم يحتاج إلى التكبير في درس الأشياء، ويحتاج إلى مثل هذا التكبير في درس النفوس، فليس كل ما دق الشعور به عن الناس عامةً باطلًا معيبًا، ولا كل ما خفي عن العين حقيقًا بالتجاهل والإخفاء.

إنما يدرك الخطأ أصحاب هذا المزاج في الغالب من ناحية واحدة هي ناحية ضبط الإحساس، أو ناحية التفريق بين الخواطر وإحساساتها التي تناسبها.

فقد زعموا في الأساطير إنّ السحرة الأقدمين كانوا إذا فكروا في جنِّي يريدونه حضر بين أيديهم بغير استدعاء ولا انتظار إشارة.

فلك أن تقول: إن ما زعموه حقيقة لا أسطورة، وأن السحرة الأقدمين موجودون في كل زمان؛ لأنهم هم بأعينهم سحرة الفن من أصحاب ذلك المزاج.

يخطر أنّ صديقًا مات، فما هو إلاّ أن يومض في ذهنهم هذا الخاطر حتى يثب معه الحزن الذي يحزنه الصديق على صديقه، أو بعبارة أخرى يثب معه الجني الملازم لخاطر الموت بغير استدعاء ولا انتظار إشارة(العقاد ، ١٩٥٧: ١٣٠-١٣١).

ولكنك ترى أنه ليس ثمة خطأ في الخاطر ولا في الإحساس الذي يلازمه، فالخاطر صحيح، والإحساس كذلك صحيح، وإنما الخطأ إنّ الإحساس يجيء قبل الأوان أو في غير الأوان، وقد يعد ذلك عيبًا في العلم أو في تدبير المعاش، أما في الفن فلا عيب فيه؛ لأن الفنان أحوج ما يكون إلى استحضار الشعور في غير موعده، وتمثيل العاطفة كلما دعته حاجة عارضة إلى تمثيلها، فهذه الخصلة قد تؤذيه في معاشه، وقد تؤلمه وتشقيه، ولكنها لا تستلزم الخلل في تفكيره وعاطفته إلا من حيث التكبير والتجسيم، وقد يكون التكبير والتجسيم ألزم لإظهار الخفي وتقريب البعيد من نظرة القسط والهدوء، ولاسيما في الفنون(العقاد ، ١٩٥٧: ١٣٢).

ومن النقائض التي اشتهر بها :

ملكة السخرية

اشتهر ابن الرومي بالسخرية وبلغ بها أوجهاً فإنّ النقائض والمفارقات الزم لوازم هذه الملكة بعد دقة الملاحظة، وهاهنا معدن النقائض والمفارقات التي يعانيها الساخر في نفسه وقد يستغني بها عن مراقبة غيره.

كان ابن الرومي ساخرًا، ولا جرم كان شاعر النقائض في عصر الاختلاف بين الظواهر والبواطن، والبعد الشاسع بين ما هو كائن وبين ما يُدَّعى ويستوجب، فلا جرم يسخر وعناصر السخر في نفسه وفي زمنه! وقدرة السخر في قلبه وفي عقله، ولا جرم يسخر وهو مهيأ للسخر فيما عدا ذلك بتعدد أصوله، وتوزع أهوائه وعصبياته؛ فإن صاحب العصبية الواحدة خليق أن يتحيز ويتنطس ويغلو في الجد والمرارة، ولكن صاحب العصبيات الكثيرة لا يستطيع أن يفعل ذلك، ولا يسعه إلا أن يستخف ويضحك من تلك الدعاوى وتلك المظاهر التي يضعها غيره من الناس موضع الجد والقداسة.

فقد اجتمع لابن الرومي إذن من عناصر السخر ما لم يجتمع لأحد في عصره: اجتمعت له دقة الملاحظة والإحساس، وعمق الشعور بالمناقضات في نفسه وفي زمنه، وسعة النظر إلى الفوارق وسماحة العطف التي تقابل مرارة العصبية، فهو ساخر لا يُبارى في سخره، وعابث مطبوع على العبث بكل شيء حتى صحبه ونفسه، يستخدم السخر في الهجاء والمديح والمطايبة والمعاتبة(العقاد ، ١٩٥٧: ١٣٤-١٣٥).

وليس يكفي أن نقول: إنّ ابن الرومي كان ساخرًا بارع التصوير؛ لنعلم كل شيء نحب أنْ نعلمه عن سخره، فإنّ السخر يتنوع حتى لا يتفق في الباعث الذي يوحيه، ولا في العبارة التي تؤديه، وأدباء «النفسيين» يقسمونه إلى التهكم والعبث، والمجانة والفكاهة، ويجعلون كل قسم منها جميعًا نوعًا من «الضحك» قائمًا بمفرده، مستقلًّا بصيغته وغرضه. والأقرب إلى فهم الموضوع عندنا أن نوحد الضحك، ونجعل الاختلاف في الخلائق والحالات النفسية، فنفرق بين ضحك الخليقة الكريمة، وضحك الخليقة اللئيمة، وبين الضحك في حالة الرضى والعطف، والضحك في حالة الغضب والجفاء، ثم نفرق بين العبث في الحالتين المختلفين في النفس الواحدة

فإذا قلنا: إن ابن الرومي ساخر فقد بقي أن نعرف نوع السخر؛ لنعرف نوع الطبيعة التي توحيه، فإن المرء — كما تقدم – يكون ساخرًا وهو طيبٌ سليم الطوية، وساخرًا وهو خبيث مظلم السريرة، فمن أي فئات الساخرين كان ابن الرومي، وأي خليقة من الخلائق كانت تهيمن على سخره؟ أنسلكه في الطيبين أو في الخبثاء؟ وفي الخلائق الشفافية القويمة أو في الخلائق الكدرة العوجاء؟ فابن الرومي هو ذلك العقل في سخره وضحكه وتهكمه وهجائه لسنا نفهمه حق فهمه إلاّ إذا تمثلناه أبدًا في جدة الإحساس اضطراره على هيئة الطفولة النامية التي لا تجف ولا تشيخ وان جفت المفاصل وشاخت الأوصال(العقاد ، ١٩٥٧ : ١٤١-١٤٢).

وقد يتأمل المرأة، فإذا هو محيطٌ – في بيت واحد – بسر «الأنوثة» كله، وبما في المرأة من ضعف وقوة(العقاد ، ١٩٥٧: ٢٨٥).

والغرائز المختلفة التي تعلل لنا محاسن المرأة تعلل لنا نقائصها التي تُعاب عليها من بعض جهاتها. وقد لخصها المتنبي، ولخص كل ما قيل في معناها حيث قال: (فمن عهدها ألا يدوم لها عهد) فهي تتقلب وتُراوغ وتُرائي وتكذب وتحزن وتميل مع الهوى وتنسى في لحظة واحدة عِشرة السنين الطوال.

وهي مسوقة إلى ذلك بالفطرة الجنسية التي خُلقت فيها قبل نشأة الآداب الاجتماعية والآداب الدينية بألوف السنين. فقد أغرتها الفطرة الجنسية بالميل إلى الأقدر والأكمل من الرجال لتنجب للعالم أحسن الأبناء من أحسن الآباء(شرارة ، د. ت: ٩٩-١٠٠).

وبما هنالك من العجب في أن تكون هذه المخلوقة العجيبة إنسانا كالرجل، وهي والرجل جسدان مختلفان، وطبعان متباينان، وأن تكون غريبة عنه وهي قرينة له ما عن مقارنتها محيص، وذلك كله ملحوظ في البيت الذي يقول فيه:

ومن عجائب ما يمنى الرجال به مستضــعفات لنــا مــنهن أقــران

ولا عجيبة هنا إلا العجيبة التي يحسها من أحس سر الأنوثة وسر الرجولة، وأحاط بالتوفيق الغريب بين هذين الإنسانين، حيث يفترقان وحيث يلتقيان، واستوعب لغز «الجنس» ببديهة واسعة لم يحجبها عن ذلك اللغز أن الجنسين أشيع ما يرى في عالم الإنسان والحيوان(العقاد ، ١٩٥٧: ٢٨٥).

وأما وقد ذكرنا المرأة ولغز الجنس المنوط بها، فقد يكون من الواجب أن نعرف مقدار ما شغلته من هذه النفس وحركته من هذا الإحساس، فإذا كان ابن الرومي عابدًا للحياة، فالمرأة ولا ريب كاهنة هذا المعبد التي تتم على يديها مراسم العبادة، ومحورها الذي تلتف حوله الشعائر والقرابين، وإذا كان ابن الرومي نفسًا تيقظت فيها أداة الحس والشعور، ففي المرأة ولا ريب تلتقي أسعد مغريات الحس، وأعمق بواعث الشعور، ولا بد من شأن لهذه «المخلوقة» في حياة هذا الشاعر، فما هو هذا الشأن؟ وما حقيقته؟ وما مداه؟ وهل هو شأن «المرأة»، أو هو شأن «امرأة» خاصة، أو أكثر من امرأة خاصة؟ وهل عشق؟ وهل أحب؟ وهل عرف ما هو الحب الذي نعني به شيئًا أكثر من العشق وأكثر من الغرام؟ فأما هذا الشأن فقد كان، ولا يعقل إلا أن يكون، وما فرغ ابن الرومي قط من شأن النساء، ولا كره الشيخوخة إلا لأنها تصده عن المرأة أو تصد المرأة عنه؛ فلأجلها قبل كل شيء كان يخاف غائلة السن؛ ولأجلها قبل كل شيء كان يتمنى خلود الشباب يقول:

أخشى كسادي على النساء إذا أسنـ نـــتُ والســـن جمـــة الخبـــل
وإننـي مـن كسـادهن علـى سـ نـي لأولـــى بـــالخوف والوجـــل

وفي وسعك أن تقول: إنه عرف «العشق» الذي لا يعرفه إلا من نشبت علائقه بامرأة واحدة دون سائر النساء(العقاد ، ١٩٥٧: ٢٨٦)، فوصف ما وجده من هذا العشق في غير موضع، وقال من ذلك:

قد كنت أبكي لأصحاب الهوى زمنًا فهـل لـي الآن مـن بـاك فيبكينـي؟
أهكـذا يجـد العشـاق كلهـم؟ يـا رحمتـا للمحبـين المسـاكين!
الحـب داء عيـاء لا دواء لـه تضـل فيـه الأطبـاء النحـارير

فهو قد عشق وغار وكابد لوعة الرغبة التي يحصرها العشق في إنسانة واحدة بين سائر النساء، وفارق وناجى وذكر، وقال من ذلك في معشوقة فارقها على أمل اللقاء:

أعلـى العهـد أنـت أم حلـت عنـه جعـل الله قبـل ذاك ممـاتي؟
لست أنسى امتنـاع صبرك للتو ديـع والبَـينُ مُـؤذنٌ بشـتات

إلاّ أنّ هذا كله عشق وليس فيه حب. وقد يكفي الإحساس والعاطفة لإضرام العشق، وإغرام المرء بامرأة يغار عليها، ويشعر نحوها بذلك الشعور الفطري الذي ركب في عامة الرجال وعامة النساء. أما الحب الذي نعنيه فلا يكفي فيه الإحساس والعاطفة، ولابد فيه من «الروحانية» أو الزهد والتضحية، ونكران النفس، ومن ثم نكران الحياة، ويقترن ذلك بالتصوف والارتفاع بالمرأة إلى ما فوق مرتبتها في الطبيعة، وفوق حظها من محاسن الأجسام؛ إذ الطبيعة لا تعرف في المرأة إلا أنها أنثى، وكذلك العشق. أما المحب فإنه قادر على أن يفيض من روحانيته نورًا على من يحب، وأن يحفها بهالة علوية قد يهابها، وقد يخشع لها في بعض المواقف خشوع المتنسكين. ولم يكن لابن الرومي نصيب من هذه الروحانية، ولا من ذلك النور، فما كانت المرأة في حسه أو عاطفته إلا أنثى طبيعية، ومخلوقًا جميلًا فيه متعة للأعين ومسرة للقلوب، ونساؤه كلهن نساء المتعة والمسرة على نسق واحد يلخصه مثل هذا البيت: (العقاد ، ١٩٥٧: ٢٨٧–٢٨٨)

حوراء في وطف، قنواء في ذلف لفـاء فـي هيـف، عجـزاء فـي قبـب

وهو في هذا أيضًا أوفى «للعبقرية اليونانية»، وللصورة التي رسمها اليونان لجمال «فينوس»؛ فقد كان اليونان طبيعيين في الجمال، وطبيعيين في العشق، ولم يكونوا روحانيين في شعر ولا فلسفة ولا تصوير، وخلاصة الحب عندهم أنه نسخة من حب «خلوى ودفنييس» في غابة حفلت بالألوف من نسخ هذا الحب بين أزواج الطير والحيوان، فإذا تنزه فهو حب عصفور لعصفورة، أو ظبي لظبية، أو حيوان جميل لحيوانة جميلة يخلو من الكثافة، ويزدان بالخفة والرشاقة(العقاد ، ١٩٥٧: ٢٨٨).

وقد تختلف الأوابد والدواجن في موسم التناسل ولكنها على التعميم لا تقارب الأنثى بعد حملها، ولا تعبث بغريزة النوع للذة الأفراد، ومما لا شك فيه أن الأخلاق الجنسية كسائر الأخلاق قوامها ضبط النفس وهو لا يوافق الذهاب مع الهوى حيثما تعرض المرء للاستهواء، ولا بد من ضبط النفس والقدرة على الامتناع لتحقيق كل خُلُق كريم يصلح للأفراد أو للأقوام أو للأنواع. والإنسان أحوج إلى الحواجز الجنسية من الحيوان، وليس بأغنى منه عن تلك الحواجز تقدُّمًا مع الحرية كما يخيل إلى أولئك الثراثرة السطحيين. فالحيوان يتشابه ويتماثل ويصعب التفريق بين أفراده في الصفات المشتركة في سلالة النوع كله؛ فلا ضير على النوع أن يتلاقى أي ذكر بأي أنثى أو ينتجا أمثالهما من الذكور والإناث(شرارة ، د. ت : ١٠٣).

وهكذا فكل حب لا يخلو من الجسدانية ولا من الطبيعة ولا يفارق الأرض ليصعد إلى سماء الروحانية والنور اذا تنزه بعد ذلك فهو صداقة حامية يشترك فيها الفكر والذوق، ولا ينفسح فيها مجال كبير للنزاهة والتقديس(العقاد ، ١٩٥٧: ٢٨٨) .

مزاج الفحولة

عشق جميل وبثينة

جميل بن معمر الذي شهَّر بُثينة بحبه حتى اشتهر بها فسمي جميل بثينة، وكان في زمانه أمام العشاق العذريين غير مدافع، وأستاذ المدرسة الغزلية التي تجري على طريقته في النسيب والتشبيب، وهي مدرسة الشعراء المحبين الموكلين بمحبوبة واحدة، ينظمون الشعر فيها ولا ينظمونه في غيرها، وقلما يطرقون بابا من النظم غير باب النسيب(العقاد ، د.ت : ٣). والعقاد قد وضع تقنيناً للقصة النفسية العريقة حين ادخل القصة الشعرية النفسية في الأدب العربي المعاصر وأكد إنّ القصة تصلح ؛ لأنْ تكون مجالًا لتطبيق الدراسات النفسية في الكتابة الأدبية وإنّها من اقرب الوسائل لفهم العلاقات بين النفوس البشرية وتفسير المواقف والمشكلات التي تنجم عن غرائب الطبائع (كريم ، د.ت : ١٨٩).

وهو بذلك يريد أنْ يزن جميع الأعمال والأقوال والحركات وما إليها في الوجود ويفسرها ويعللها ببواعثها في نفس الإنسان وفطرة الوجود الحي ولا يبالي بظواهرها وعناوينها إلاّ بمقدار ما تؤدي إلى تلك البواعث وتدل عليها وفي هذه النفس تفسيره وعلته المبدئية القريبة فالعقاد لا ينظر إلى أي مظهر إنساني مبتورًا عن جذوره في نفس صاحبه فردا كان أو جماعة، بل يمضي قدمًا إلى ينابيعه في هذه النفس(تونسي ، د.ت : ٥١-٥٢).

أما العلاقة التي تربط جميل ببثينة وهي العلاقة التي تكون بين الرجل والمرأة وتتعطل فيها الإرادة بعض التعطيل أو كل التعطيل أو هي العلاقة التي نسميها العشق والغرام. وتعطيل الإرادة أصيل في الهوى كله ولاسيما الهوى الذي نسميه بالعشق أو نسميه بالغرام؛ لأنّ المرء يرتبط فيه بإرادة شخص آخر فهو مقيد بهذا الارتباط الذي لا تتفق فيه الإرادتان في جميع الأحيان. ثم يتقيد الشخصان معا بإرادة النوع كله أو بالإرادة القاهرة التي تتمثل في الغريزة النوعية واغلب كثيرا على إرادة العاشقين وان اتفقا على حالة من الحالات. وقد يبلغ به هذا التقييد لإرادته أنْ يحول بينه وبين فهم إرادته فلا يعلم ماذا يريد فضلا عن انه يعلمه ويعجز عنه، فإذا به قد انقسم على نفسه كما ينقسم المعسكر الواحد إلى ضدين متحاربين، ولا غنيمة لأحد في الانتصار، إذ هو انتصار لا يخلو في الحالتين من خسارة وينتهي به الأمر إلى البقاء على حاله عاجزا عن تغييره لا سرورا به ولا رغبة فيه، فهو يتعلق بمعشوقه لأنه راض عن هذه العلاقة ملتذها ويتشهاها ويتذوق النعمة والهناءة فيها، ولكنه يتعلق به لأنه عاجز عن فراقه، مقيد بضروب من العادات والوساوس لا حيلة له فيها ولا قدرة له عليها. ومثله مثل المدمن الذي يتعاطى السموم ولا يجهل بلواها، ولكنه لا يقلع عنها فلا يقر له قرار، فيمضي فيها وهو كاره لها يبحث ما استطاع عن سبيل النجاة(العقاد ، د.ت : ٢٩-٣١).

قال له أبوه: «يا بني! حتى متى أنت عَمِهٌ في ضلالك، لا تأنف من أن تتعلق بذات بعل يخلو بها وينكحها وأنت عنها بمعزل، ثم تقوم من تحته إليك فتغرك بخداعها وتريك الصفاء والمودة.

وهذا كلام مقنع لا ينكره منكر، ويعلم جميل أنه حق كما قال أبوه. فإذا علم المرء هذا ولم يعمل به فليس لذلك إلا علة واحدة وهي شلل الإرادة، وأنه في حال كحال المريض الذي لا يملك الشفاء، بل ربما كان شرًّا من هذا المريض في استسلامه لدائه؛ لأن المريض قد يريد الشفاء ويتوسل إليه بوسائله التي في يديه، ولكن العاشق الذي برح به العشق، كما برح بجميل مشلول الإرادة حتى عن التوسل بما يستطيع أن يحاوله من وسائل الشفاء.

وقال له ابن عمه روق مقالة الند للند الذي يفهمه ويستثير نخوته بالمناظرة في الفتوة والمقاربة في السن: إنك لعاجز ضعيف في استكانتك لهذه المرأة وتركك الاستبدال بها مع كثرة النساء ووجود من هو أجمل منها، ولكنه أجاب هذا وذاك بجواب واحد هو العجز والبكاء، وقال لابن عمه كما قال لأبيه: «يا أخي، لو ملكت اختياري لكان ما قلت صوابًا، ولكني لا أملك الاختيار وما أنا إلا كالأسير لا يملك لنفسه نفعًا.»

وظاهر أننا – في قصة جميل وبثينة – أمام عارض نادر من عوارض العلاقة الغرامية؛ لأن المشاهد المتواتر أنَّ هذه العلاقة تجري في مجراها بين كثير من الرجال والنساء، دون أن تصل إلى هذه اللجاجة الموبقة التي وصل إليها جميل (العقاد ، د. ت : ٢٩-٣١).

الغريزة الغرامية لجميل بثينة

لا شك أنَّ الغرائز النوعية أقوى من إرادة الفرد إذا تحكم النزاع بينهما، وبلغ مبلغ الصدام الذي لا محيص فيه من الغلبة لإحداهما، ولكن المسألة هي أنَّ الغريزة النوعية والإرادة الفردية لا تبلغان هذا المبلغ من النزاع والصدام إلا لعارض طارئ ليس بالمتكرر في جميع الأحوال، وهذه هي الندرة التي يدل وقوعها على شذوذ في الفرد أو شذوذ في الأحوال التي تعرضت لها علاقته الغرامية. فالعشق أصيل في طبائع الإنسان إذا نحن رددناه إلى الغريزة النوعية، بل هو أصيل في طبائع بعض الأحياء من الطير والوحش، كما ظهر من تلازم بعض الأزواج واقتصار بعض الذكور على بعض الإناث، بغير تبديل إلى أمد طويل. ولكن الغريزة النوعية لم تخلق لشقاء الأفراد ضربة لازب، ولا يلزم من خدمتها النوع أنها تمحق الفرد وتتقاضاه حقه من الهناءة والحرية في جميع الأحوال، ولا سيما إذا تحققت مصلحة النوع بغير هذه التضحية التي لا توجبها خدمة فرد ولا خدمة نوع. فإذا اصطدمت الغريزة والإرادة الإنسانية على اطراد دائم مدى الحياة، فهنالك شذوذ لا محالة في هذه الإرادة أو في الأحوال التي أحاطت بها ولابستها، وذلك هو الشذوذ النادر الذي نشاهد مثلًا من أمثلته الواضحة في قصة جميل. والأغلب — فيما يبدو لنا — أنَّ علة هذا الشذوذ راجعة إلى جميل نفسه قبل مرجعها إلى الأحوال، التي أحاطت به وبمعشوقته بثينة (العقاد ، د. ت : ٣٥-٣٦). فقد اصطلحت عليه أسباب كثيرة توهي من إرادته وتعرضه للعجز عن مقاومة هذه المحنة التي غلبته على رأيه. فكان مدللًا قليل التمرس بالمصاعب كما يغلب على عامة المدللين، وكان وسيمًا تميل به وسامته إلى التصدي لهذه الأهواء والتفرغ لها والوقوف على طريقها، وكان المزاج الفني — أو مزاج الشاعرية — معوانًا له على التمادي في هذه الغواية واستيحاء المقاصد الشعرية منها، وبخاصة حين أغناه اليسار عن معالجة الشعر في أبواب المديح والرحلة إلى الأمراء والرؤساء، وقصة هواه لبثينة قصة من أراد الوقوع في الهوى، ثم وقع فيه، وليست بقصة من أوقعته المصادفة وحاول الخلاص من البداية فامتنع عليه.

فكان في أول عهده بالعشق يهوى «أم الجسير» أخت بثينة الكبيرة، ثم لقي بثينة فشتمته واستملح شتمها، فانصرف من تلك اللحظة عن أختها إليها، وذلك إذ يقول:

وأول مـــا قـــاد المـــودة بيننـــا بـوادي بغـيض يـا بثـين سـباب

وربما دل ذلك على خليقة من الخلائق التي نفهم بها لجاجته في علاقته الغرامية على نحو يندر جدًّا بين الأقوياء ذوي الغلبة من الرجال.

فمن خلائق بعض الضعفاء أن تغريهم الإساءة والحرمان، وتزيدهم كلفًا على كلف بمن أحبوا من النساء، ولا سيما المرأة التي تحسن أن تمزج المنع بالإغراء والأطماع بالإقصاء، وفي هذا يقول من قصيدة أخرى: (العقاد ، د. ت : ٣٧-٣٨)

ولست على بذل الصفاء هويتها ولكـن سـبتني بالـدلال وبالبخـل

فالسباب استهواه والبخل سباه ولج به في هواه، وتلك أبدًا آية من آيات العجز وضعف الثقة بالنفس وتعليق تلك الثقة بمشيئة غيره، إن أقبلت عليه معشوقته رضي عن نفسه واستراح إلى هذا الرضى، وإن أعرضت عنه ظل في حيرة وابتئاس لا يزولان إلا أن يزيلهما إقبال جديد، وفي بعض الضعفاء خليقة قريبة من هذه الخليقة أو هي في مظهر من مظاهرها المختلفة، ونعني بها «حب التعذيب» والحنين إليه، ومن هؤلاء من يلتمسون الضرب والإيجاع في بعض الأحيان ويسعون إليه، وقد يستأجرون من يضربهم ويوجعهم، كما يصنع أناس من أصحاب هذه الخليقة في بعض العواصم الأوروبية.

وقد ينبغي ذلك في الهوى العذري أو لا ينبغي فيه ولا في هوى من الأهواء، ولكن من هو العاشق الذي يعمل ما ينبغي ولا يعمل ما دونه. ومن النقائض التي تنجم عن تقدير القراء والنقاد أنهم ربما رأوا للهوى العذري صفة الكمال، ثم يرون هذا الهوى في كلام جميل وأخباره على صفة أخرى. فالهوى العذري – كما شاع على ألسنة واصفيه – هوى بعيد من الجسد ونزعاته، باقٍ ما بقيت الحياة، ثم هو لا يزال قانعًا على مدى الحياة بالنظر والحديث والمناجاة (العقاد ، د. ت : ٣٩ ، ٤٥ ، ٥٣).

المآخذ على المنهج النفسي

ومنها على لسان عميد الأدب العربي طه حسين تحت عنوان بؤس أبي نؤاس

إذ قال: رحم الله أبا نؤاس وغفر له، فلسنا نملك إلاّ أنّ نسنتزل عليه رحمة الله في الآخرة بعد أن صبت عليه نقمة الناس في الدنيا. فما اعرف من شعرائنا القدماء من كثر القول فيه واختلف الحكم عليه وذهب الناس في امره(حسين ، د. ت : ٢٢٨-٢٢٩).

ومن المآخذ التي أخذت على المنهج النفسي هي كثيرة ولكن من أبرزها :

١. وهذه الآراء وان صحت مستنتجة من نماذج بشرية معينة، ولا يجوز تعميمها، فالإنسان ليس نموذجا واحدا ومن عظمة الخالق (عز وجل) انه لم يخلق أحدًا نسخة طبق الاصل عن الآخر.
٢. ومن الناحية المنهجية فان هذا النقد تحول –أو كاد– إلى تحليل نفسي، واختنق فيه الأدب نفسه، وضاعت قيمه الفنية والجمالية في لجة التحليلات النفسية والكلام على العقد والأمراض.

إنّ غاية أي نقد أدبي هي الأدب نفسه، وليس علم النفس والنقد لا يمكن أنْ يتحول إلى علم نفسي، ولأكل حصاد العمل إلى مظهر نفسي يقدم لنا نظرية عن الشخصية الإنسانية، وليس نقدا أدبيا.

٣. وبسبب إهمال النقد للقيم الجمالية والفنية التي في العمل الأدبي وعنايته بالتحليل النفسي والبحث عن دوافعه، يستوى في الدرس عنده والنص الجيد مع النص الرديء في دلالته النفسية(قصاب ، د.ت : ٦٧-٦٨).
٤. إنّ افتراض أنّ الأديب مريض نفسيا –إنْ صح– والزعم انه مصاب بالعصاب أو غيره من الأمراض الذهنية ينسحب على جميع الأشخاص الذين يمارسون فعاليات فكرية.
٥. هذا المنهج النفسي يحط من قيمة الإنسان الذي كرمه الله تعالى وخلقه في أحسن تقويم عندما يجعله محكوما بغرائزه، ولاسيما الغريزة الجنسية التي يحركها المحرك الأول لهذا الإنسان، والمفسر الرئيس لما يصدر عنه من الأفعال والتصرفات ومن الإبداع الفني عند الأدباء الذي هو نشاط يفترض انه جاد صادر عن أناس متميزين لا عن مرضى غير أسوياء تحركهم الغرائز والشهوات والجنس. وبذلك يبدو الإنسان حيوانا شهوانيا مجردا من القيم ولا يبدو الجانب الروحي ولا للعقيدة أو الدين أي اثر في سلوكه وتصرفاته.

٦. الربط بين الإبداع والشذوذ كأنه تشجيع على البوهيمية والشذوذ وإيحاء انهما يحققان العبقرية والتميز.

٧. أهمل المنهج النفسي وركز على المبدع وحده، وبذلك وقع في أحادية النظرة التي وقعت فيها معظم المناهج النقدية.

وهكذا فان عوار هذا المنهج النقدي وفساد الآليات والمنطلقات التي اعتمد عليها، مما لا يخفى على أحد إنّ تصوراته –في الأصل– بنيت على أوهام وقيم فاسدة هجينة، وما بني على باطل فهو باطل.

الخاتمة

الشخصية الإنسانية مثل كتلة الجليد العائمة في البحار القريبة من القطب لا يعلو منها فوق سطح البحر إلاّ جزء ضئيل ويبقى معظمها مغمورا بالماء وكذلك الشعور يؤلف جزءا ضئيلًا من العقل أما الباقي وهو ما يعرف باللاشعور أو العقل الباطن فهو الجزء الأعظم وليس ذلك فسحب ، بل انه الجزء المهم من العقل. ويسمى الغريزة وعلى هذه الغريزة الجنس هي عاصمة الغرائز ، ينشأ الإنسان حاملا في أعماقه هذه البذرة التي تصبح المحرك الرئيس لطاقاته في الحياة ، ويغدو همه الوحيد في حياته هو إفراغ هذه الطاقة.

إلاّ أنّ ذلك لا يتحقق على الوجه الأكمل حفاظًا على قيم المجتمع وخوفا من تعاليم السلطة. وهنا يأتي الحلم الذي تتحقق فيه الرغبة حين يخلد الأنا الأعلى في سباته العميق والغوص في أعماق النفس من أصعب الأغوار وأعمقها بحثًا ودراسة ؛ لأنّها لا تنتهي وليس لها موت كل يوم هي في جديد وولادة طبيعية ليست قيصرية.

والله من وراء القصد

كشاف المراجع والمصادر

١. اشكالية المنهج في النقد الأدبي العربي الحديث (المنهج النفسي انموذجا) ، للدكتور صالح بن سعيد الزهراني الأستاذ المشارك في كلية اللغة العربية جامعة ام القرى.

٢. (انا) ، عباس محمود العقاد، تقديم طاهر الطناجي، دار الهلال.

٣. ابن الرومي حياته في شعره، بقلم عباس محمود العقاد، الطبعة الرابعة، ١٩٥٧م.

٤. ابو نؤاس الحسن بن هانئ، تأليف عباس محمود العقاد، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، صيدا.

٥. ابو نؤاس والعقاد محللاً نفسياً، بقلم عبد الرؤوف دقاق، الثلاثاء، ٢٠٠٩/١/٢٠، صدر عن جريدة الجماهير، مؤسسة الوحدة للصحافة والطباعة والنشر، دمشق، سوريا.

٦. التحليل النفسي والأدبي، مشهد النقد العربي لاسعد فخري (منتدى التنمية البشرية وتطوير الذات وعلم النفس والفلسفة).

٧. جميل بثينة، تأليف عباس محمود العقاد، الشعب ٩٢، شارع القصر العيني بالقاهرة.

٨. خصام ونقد لـ طه حسين، دار العلم للملايين، بيروت.

٩. الدرس النفسي لأبي نؤاس ما بين العقاد والنويهي، للدكتور ريم هلال، صدر عن مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية، سلسلة الآداب والعلوم الانسانية، المجلد ٢٨، العدد ١، ٢٠٠٦.

١٠. سيكولوجية الخطاب عند العقاد ، الدكتور زين الدين مختار، مقالة، وهو أستاذ جامعي له العديد من المؤلفات، كتبه في ٢٠٠٩/١٢/٩.

١١. عباس العقاد ناقدا، تأليف عبد الحي ذياب، الناشر الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م.

١٢. العقاد دراسة وتحية (بمناسبة بلوغه السبعين)، لمجموعة من تلاميذه، مكتبة الانجلو المصرية، ١٦٥ شارع محمد بك.

١٣. العقاد عملاق الأدب والفكر والفن، تعليق واعداد وترتيب جمال اللوسي، طباعة ونشر دار الشؤون الثقافية العامة، آفاق عربية، العراق، بغداد، اعظمية.

١٤. العقاد مع ابو نؤاس الحسن بن هانئ، تأليف عباس محمود العقاد، ١٩٦٧، النشر دار الفكر العربي، بيروت.

١٥. العقاد معاركه في السياسة والأدب، بقلم عامر العقاد، الناشر دار الشعب، القاهرة.

١٦. العقاد وتطوره الفكري، تأليف عبد الحي ذياب، سلسلة الكتب الحديثة، وزارة الثقافة والاعلام، ٣٨ مديرية الثقافة العامة.

١٧. علم النفس العام (رؤية معاصرة)، تأليف الدكتور حسين فايد، أستاذ علم النفس المساعد، كلية الآداب، جامعة حلوان، مؤسسة حورس الدولية، مؤسسة طيبة للنشر.

١٨. عمالقة عند مطلع القرن، للدكتور عبد العزيز المقالح، منشورات دار الآداب، بيروت.

١٩. فصول من النقد عند العقاد، تقديم محمد خليفة التونسي، الناشر، مكتبة الخانجي بمصر ومكتبة المتنبي ببغداد.

٢٠. كتاب المدخل الى نظرية النقد النفسي (سيكولوجية الصورة الشعرية في نقد العقاد نموذجا)، دراسة لزين الدين المختاري، منشورات اتحاد الكتاب العربي، ١٩٩٨.

٢١. ماذا يبقى من العقاد، بقلم سامح كريم، دار القلم، بيروت، لبنان.

٢٢. المختار في أدب العقاد مع مقدمة تحليلية ، بقلم عبد اللطيف شرارة، منشورات الفاخرية، الرياض، دار الكتاب العربي، بيروت.
٢٣. المرجع في الصحة النفسية، تأليف الأستاذ الدكتور أديب الخالدي أستاذ الصحة النفسية، كلية الآداب والعلوم (غريان، جامعة السابع من ابريل)، ليبيا، أستاذ الصحة النفسية، كلية التربية، جامعة المستنصرية (العراق) سابقاً، الطبعة الثانية، ٢٠٠٢، الدار العربية للنشر والتوزيع، المكتبة الجامعية، غريان.
٢٤. مع العقاد، تأليف الدكتور شوقي ضيف، الناشر دار المعارف، مصر.
٢٥. معاناة ابي نؤاس مع المنهج النفسي –١–، مع العقاد، السبت، ٢٠٠٨/٨/٣٠، كاتب الموضوعات احمد هيهات.
٢٦. معجم المنجد في اللغة، تأليف يوسف معلوف، الطبعة الخامسة.
٢٧. ملتقى اللسانيات واللغويين والأدباء والمثقفين والفلاسفة (منتديات تخاطب)، موضوع المنهج النفسي للنقد، ٢٠١٢/٤/٣٠، الجزائر.
٢٨. مناهج النقد الأدبي الحديث (رؤية اسلامية)، للدكتور وليد قصاب، دار الفكر، آفاق معرفة متجددة.
٢٩. مناهج النقد الأدبي بين النظرية والتطبيق ، لـ ديفد ديتش ، نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٩٦٧، ترجمة الدكتور محمد يوسف نجم، مراجعة الدكتور احسان عباس، دار صادر، بيروت.
٣٠. الموسوعة المختصرة في علم النفس والطب الفعلى معجم انكليزى عربى لمصطلحات علم النفس ومذاهبه، والأمراض العقلية، ولكثير من المصطلحات النفسية : مع شرح وافي بالعربية لأغلب تلك الموضوعات، الدكتور وليم الخولي (مدير مستشفى الخانكة سابقا بكالوريوس الطب والجراحة دبلوم الامراض العصبية والعقلية)، عضو كلية الاطباء النفسيين الملكية بلبنان، الطبعة الاولى، ١٩٧٦، دار المعارف بمصر.
٣١. النقد الأدبي الحديث في مصر شأنه واتجاهاته، تأليف الدكتور كمال نشأت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، قسم البحوث والدراسات الأدبية واللغوية.
٣٢. النقد الأدبي العربي مناهجه واصوله، لسيد قطب، الناشر دار الفكر العربي.

Sources

1- Al-Akkad with Abu Nawas Al-Hassan Bin Hani, authored by Abbas Mahmoud Al-Akkad, 1967, published by Al-Fikr Al-Arabi House, Beirut.

2. Abu Nawas Al-Hassan Bin Hani, written by Abbas Mahmoud Al-Akkad, Al-Asriya Library Publications, Beirut, Sidon.

3. Abbas Al-Akkad as a critic, written by Abdel Hai Diab, publisher, the National House of Printing and Publishing, Cairo, 1385 AH / 1990 AD.

4. Al-Akkad, the giant of literature, thought and art, commented and prepared by Jamal Al-Losi, printed and published by the House of General Cultural Affairs, Afaq Arabia, Iraq, Baghdad, Adhamiya.

5. Al-Akkad's Battles in Politics and Literature, written by Amer Al-Akkad, published by AlShaab house, Cairo.

6. Chapters of Criticism according to Al-Akkad, presented by Muhammad Khalifa Al-Tunisi, publisher, Al-Khanji Library in Egypt and Al-Mutanabbi Library in Baghdad.

7. Methods of Literary Criticism between Theory and Practice, by David Dench, published jointly with the Franklin Foundation for Printing and Publishing, Beirut, Lebanon, 1967, translated by Dr. Muhammad Youssef Najm, revised by Dr. Ihsan Abbas, Sader house, Beirut. 8. Modern Literary Criticism in Egypt: Its Origins and Trends, written by Dr. Kamal Nashaat, 1403 AH / 1983 AD, Department of Literary & Linguistic Research and Studies.

9. What remains of Al-Akkad, by Sameh Karim, Al-Qalam house, Beirut, Lebanon.

10. Dispute and criticism of Taha Hussein, Al-Ilm House for Millions, Beirut.

11. Ibn Al-Roumi His Life in His Poetry, by Abbas Mahmoud Al-Akkad, Fourth Edition, 1957AD.

12. What is chosen of Al-Akkad's Literature with an Analytical Introduction, by Abdel Latif Sharara, Al-Fakheriya Publications, Riyadh, Al-Kitab Al-Arabi house, Beirut.

13. (I), Abbas Mahmoud Al-Akkad, presented by Taher Al-Tanaji, Al-Hilal house.

14. Giants at the turn of the century, by Dr. Abdel Aziz Al-Maqaleh, Al-Adab house Publications, Beirut.

15. Jamil Buthaina, written by Abbas Mahmoud Al-Akkad, Al-Shaab 92, Al-Qasr Al-Aini Street, Cairo.

16. The reference in mental health, written by Prof. Dr. Adeeb Al-Khalidi, Professor of Mental Health, College of Arts and Sciences (Gheryan, University of the Seventh of April), Libya, Professor of Mental Health, College of Education, Al-Mustansiriya University (Iraq) previously, second edition 2002, Al-Arabia House for Publishing and Distribution, University Library, Gharyan.

17. Modern Literary Criticism Methods (An Islamic Vision), Dr. Walid Kassab, Al-Fikr house, Horizons of Renewed Knowledge

18. Arab Literary Criticism: Its Methods and Origins, by Sayyid Qutb, publisher Al-Fikr Al-Arabi house.

19. The Book of Introduction to Psychological Criticism Theory (The Psychology of the Poetic Image in Criticism of Al-Akkad as a Model), Study by Zain Al-Din Al-Mukhtari, Arab Writers Union Publications, 1998.

20. Al-Akkad as a Study and Greeting (on the occasion of his 70th birthday), for a group of his students, Anglo-Egyptian Library, 165 Mohamed Bek Street.

21. General Psychology (a contemporary vision), written by Dr. Hussein Fayed, Assistant Professor of Psychology, Faculty of Arts, Helwan University, Horus International Foundation, Taibah Publishing Corporation.

22. Al-Akkad and his Intellectual Development, authored by Abdel Hai Diab, Modern Books Series, Ministry of Culture and Information, 38 Directorate of General Culture.

23. With Al-Akkad, written by Dr. Shawky Dhaif, publisher Al-Maaref house, Egypt.

24. The Concise Encyclopedia of Psychology and Actual Medicine An English-Arabic dictionary of psychology terms and doctrines, mental illnesses, and many psychological terms: with a full explanation in Arabic of most of these topics, Dr. William El-Khouly (formerly Director of Khanka Hospital, Bachelor of Medicine and Surgery, Diploma in Neurological and Mental Diseases), Member of the Royal College of Psychiatrists in Lebanon, First Edition, 1976, Al Maaref house, Egypt.

25. Al-Munajjid Dictionary of Language, written by Youssef Maalouf, Fifth Edition .

26. Abu Nawas and Al-Akkad as a Psychological Analyst, written by Abdel-Raouf Dakkak, Tuesday, 20/1/2009, published by Al-Jamahir Newspaper, Al-Wahda Foundation for Press, Printing and Publishing, Damascus, Syria.

27. Research into the problematic of the curriculum in modern Arab literary criticism (the psychological approach as a model), by Dr. Saleh bin Saeed Al-Zahrani, associate professor at the College of Arabic Language, Umm Al-Qura University.

28. Psychological and Literary Analysis, Arab Criticism Scene by Asaad Fakhri (Forum of Human Development, Self-Development, Psychology and Philosophy).

29. Abu Nawas's Suffering with the Psychological Method, with Al-Akkad, Saturday, 30/8/2008, the writer of topics Ahmed Hayhat.

30. The Psychology of Discourse according to Al-Akkad, Dr. Zine El-Din Mokhtar, an article, he is a university professor with many books, written on 12/9/2009.

31. The psychological lesson of Abu Nawas between Al-Akkad and Al-Dhuwaihi, by Dr. Reem Hilal, published by Tishreen University Journal for Studies and Scientific Research, Series of Arts and Humanities, Volume 28, Issue 1, 2006.

32. Forum of Linguistics, Linguists, Writers, Intellectuals and Philosophers (Talking Forums), Subject of Psychological Approach to Criticism, 30/4/2012, Algeria.